

روايات مصرية للجيب  
رجل المستحيل

# لهيب الثلج



بالتسجيل

www.dvd4arab.com

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
بلاطو صيدو، القاهرة ١١٥١١٠٠

● رجل المستحيل ● لهيب الثلج ● ٤٦ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل  
المستحيل  
سلسلة  
روايات  
بوليسية  
للشباب  
زاهية  
بالأحداث  
المثيرة

٤٦

التمن في مصر

وما يعادل دولارا  
أمريكا في مائتين  
الدول العربية  
والعالم

## لهيب الثلج

- كيف توصل (أدهم صبرى) إلى مكان زميلته ، التي فقدتها وسط تلوج (موسكو) ؟
- ماذا سيفعل الرفيق (ياكوف) ، لمواجهة (رجل المستحيل) في بلاده ؟
- ترى .. أينجح (أدهم) في إنقاذ (منى) ، أم يلقي حتفه وسط لهيب الثلج ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : الرصاصة الذهبية



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن ( أدهم صبرى ) كل هذه المهارات .. ولكن ( أدهم صبرى ) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب ( رجل المستحيل ) .

د. نيل فاروق

## ١ - الأصدقاء ..

توقفت سيارة سوداء صغيرة ، أمام السفارة المصرية في ( موسكو ) ، وهبط منها رجل بدين الجسم ، طفولى الملامح ، وتبعه رجل طويل ، ممشوق القوام ، أسرع كلامهما يبرز أوراقه للجندى السوفيتى ، المكلف حراسة المبنى ، ثم تقدما إلى السفارة بخطوات سريعة ، ولقد استقبلهما السفير المصرى بنفسه ، وقال الطويل يقدم نفسه إلى السفير :

— المقدم ( حازم عبد الله ) من المخابرات المصرية يا سيدى السفير .. وهذا زميل ( قدرى ) ، خبير التزييف فى الإدارة .  
ابسم السفير ، وهو يلوح توتير ( قدرى ) ، وتلفت حوله ، وقال فى هدوء :

— تسعدنى مقابلتكما ، إنه ينتظركما فى شوق .  
تركزت نظرات ( قدرى ) على وجه السفير ، وهتف فى لهفة :

— أين هو يا سيدى ؟



جاء من خلفه صوت هادئ ، يقول في وُد :

— خلفك يا صديقي البدين .

استدار ( قدرى ) في سرعة وخفة ، لا يتناسب مع حجمه

الضخم ، وهتف في سعادة :

— ( أدهم ) ؟ .. ما أسعدنى الآن !!

ثم اندفع نحو ( أدهم صبرى ) ، وعانقه في وُد ، وربت

على كتفيه في قوة ، فضحك ( أدهم ) وهو يقول مداعبًا :

— يا إلهى !! هل يسيرون القطارات داخل السفارة ؟

أطلق ( قدرى ) ضحكة عالية مجلجلة ، وصاح في مرح :

— أوحشتى دعاباتك يا صديقى العزيز .. كيف حالك ؟

التفت ( أدهم ) بصافح ( حازم ) في حرارة ، وهو

يقول :

— في غير حال أيها الأصدقاء .. كيف حالكما أنما ؟

أجاب ( حازم ) في رصانة :

— لقد أتينا هنا في مهمة رسمية يا صديقى .. فنحن تحت

إمرتك ، حتى نستعيد ( منى ) .

بعث ذكر ( منى ) مزيجًا من الحنان والحزن في عيني

( أدهم ) ، وقال في هدوء ، وإن نَمَّ صوته المختلج عن انفعاله :

— حمدًا لله على سلامتكما يا صديقى .. سنتناول وجبة

خفيفة ، حتى نسد جوع صديقنا ( قدرى ) ، ثم أقص عليكما

القصة كلها في مكتب سيادة السفير ، ونحن نشرب الشاي على

الطريقة المصرية .

ثم استعاد صوته رزائته ، وهو يردف في حزم :

— هيا بنا .

\*\*\*

جلس رجال المخابرات الثلاثة يشربون الشاي المصرى ، في

حجرة السفير ، واعتدل ( أدهم ) وهو يقول :

— أنما تعرفان بالطبع كيف بدأت القصة ، بإلقاء القبض

على شبكة تجسس في مصر ، وهروب زعيمها ( أندرية جريج )

إلى ( موسكو ) ، قيل الإيقاع بالشبكة ، ثم كلفتى المخابرات

المصرية الحضور إلى هنا ، وإلقاء القبض على ذلك الوغد ،

وإعادة إلى القاهرة .. ولقد حاولنا ذلك بالفعل ، ولكن ذلك

الوغد تأمر ضدنا ، وتسبب ذلك في وقوعنا في فخ أعدته لنا

سلطات مكافحة التجسس السوفيتية ، بقيادة الرفيق

( ياكوف ) ، الذى ألقى القبض على ، وأطلق رجاله النار



عل ( منى ) ، وتم اعتقالى فى ( سبيريا ) ( \* ) .

صمت ( أدهم ) عند هذه النقطة ، وكأنه يستعيد ذكرى هذه اللحظات ، ثم استطرد :

— وفى ( سبيريا ) استسلمت أنا تماماً للأسر ، وأنا أظن أن ( منى ) قد لقيت حتفها ، ثم عرفت بمحض الصدفة أنها مازالت على قيد الحياة ، فى مكان ما فى ( موسكو ) .. وهنا قررت الفرار من أكثر معتقلات العالم هولاً .. وبعد مخاطر رهبة ، وصلت أنا و ذلك الوغد ( أندريه ) إلى سفارتنا هذه ، وتم ترحيله إلى القاهرة ، واعتبرت المهمة منتهية وناجحة عند هذه النقطة ، ولكننى قررت عدم العودة إلى القاهرة ، إلا بعد استعادتى ( منى ) ( \*\* ) .

صمت ( أدهم ) مرة أخرى ، ثم رفع عينيه إلى زميله ، وقال فى هدوء :

— ولن يكون ذلك الأمر بالهين ، أو البسيط يا صديقى .. سيكون أمراً أشد هولاً مما سبق ، حتى أننى أكاد أشتّم رائحة جليد يلتهب فى ( موسكو ) .

( \* ) راجع الجزء الأول ( العين الثالثة ) .. المغامرة رقم ( ٤٤ ) .

( \*\* ) راجع الجزء الثانى ( القضبان الجليدية ) .. المغامرة رقم ( ٤٥ ) .

تبادل ( قدرى ) و ( حازم ) نظرات باسمة ، ثم رفع ( قدرى ) حقيبة صغيرة ، وضعها فوق المنضدة ، وفتحها وهو يقول :

— أصدقك القول يا صديقى ، أن السوفيت يفتشون حقائب زوارهم بدقة متناهية ، وينوع من الشك الغريزى ، يجعل من المستحيل تقريباً تهريب أى سلاح إلى داخل بلادهم ، ولكن ... ارتسمت ابتسامة خيثة على شفتيه ، وهو يستطرد :

— ولكنهم أفرجوا عن محتويات حقبتى الصغيرة هذه ، دون أن تراودهم ذرة واحدة من الشك .

وأدار الحقيبة المفروحة لتواجه ( أدهم ) ، وأردف :

— وهى لا تحوى كما ترى سوى معجون حلاقة ، ومعجون أسنان ، ولعبة من البلاستيك ، وعدد من زجاجات العطر ، وبعض الأقلام ، وأوراق الكتابة .

سأله ( أدهم ) ، وهو يتسم فى هدوء :

— هل تفجر الأقلام ؟

أطلق ( قدرى ) ضحكة مجلجلة ، وقال :

— لقد انقضى عهد الأقلام المتفجرة منذ زمن طويل

يا صديقى .. إن ما تحويه هذه الحقيبة هو مجموعة من أفضل

مبتكرات القسم العلمى بالإدارة .



ثم القط اللعبة البلاستيكية ، وأخذ يحل أجزاءها في مهارة ، وهو يقول :

— لو أنا حللنا هذه اللعبة الطريفة ، وأعدنا تركيبها بصورة أخرى ، فسنجدها عبارة عن مسدس من بلاستيك مقاوم للحرارة ، وأربع خزانات ذخيرة ، تحوى الواحدة عشر رصاصات قاتلة .

كان قد انتهى من تركيب المسدس البلاستيكى ، فنأوله إلى ( أدهم ) ، الذى أخذ يفحصه في إعجاب ، على حين واصل ( قدرى ) حديثه قائلاً :

— أما زجاجات العطر ، فهي نوع متطور من صبغات الشعر ، يمكنها أن تبدل لون شعرك في لحظة واحدة ، كما يمكن إزالتها بمحلول ، يتم إنتاجه بإذابة أوراق الكتابة في كوب ماء صغير .. ومعجون الحلاقة عبارة عن بولى إيثيلين سائل ، يمكنك من صنع أقنعة مشابهة تماماً لبشرة الوجه .. أما معجون الأسنان ، فهو نوع من صبغات البشرة ، يعطيه اللون المناسب ، بإضافة أحبار الأقلام ، التى تحوى قاعدتها في الوقت نفسه مجموعة مثالية من عدسات العيون الملونة .

اتسعت ابتسامته ، وهو يردف في سعادة :

— إنها حقبة متكاملة يا صديقى ، والحقبة نفسها عبارة عن أحدث جهاز تزييف في العالم ، ومعه أفضل كمبيوتر للتزوير .

عقد ( أدهم ) حاجبيه في تساؤل ، وغمغم :

— كمبيوتر للتزوير ؟

أشار ( قدرى ) إلى صدره ، وقال في مرح :

— إنه أنا يا صديقى ، في خدمتك حتى نستعيد ( منى ) معاً .

أطلت نظرة امتنان من عيني ( أدهم ) ، ونهض إلى النافذة ، وكأنه يحاول إخفاء انفعاله ، وساد الصمت طويلاً في الحجرة ، ثم استدار إليهم ( أدهم ) ، وقال في صوت هادئ قوى :

— لقد أثبتنا لى أن الأصدقاء المخلصين ، هم خير هبة من

الله ( سبحانه وتعالى ) في هذه الحياة .. وبمعاونتكما سنستعيد ( منى ) .. سنستعيدها يا رفاق .

\*\*\*



## ٢ - في ظلام الليل ..

دفع الرليق ( ياكوف ) باب حجرتة في حلق واضح ،  
وجلس إلى مكتبه وهو يهمهم بكلمات ساخطة ، مما حدا بزميله  
( إيفانوف ) إلى سؤاله مبتسمًا :

— ماذا بك ؟

صاح ( ياكوف ) في غضب :

— هؤلاء الأطباء الحمقى في الإدارة ، إنهم يقفون في  
طريقي .. إننى أفكر جدًّا في إرسالهم إلى ( سيبيريا ) .

أخفى ( إيفانوف ) ابتسامته في صعوبة ، وهو يسأله :

— ألم تستعد المصرية ذاكرتها بعد ؟

صاح ( ياكوف ) في حلق :

— نعم .. إنها تدعى أنها لا تذكر شيئًا ، وهؤلاء الأطباء

الحمقى يؤيدون قولها .

تبدلت ملامحه ، وهو يقول في غيظ :

— ولكننى واثق من أنها تخدعنى .. شعور قوى في أعماق

يؤكد لى ذلك .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قال ( إيفانوف ) ، وهو  
ينظر في ساعته :

— لقد انتصف الليل ، سأعود إلى منزلى .

نهض ( ياكوف ) ، وقال :

— حسنًا .. أعتقد أننى أحتاج أيضًا إلى بعض الراحة .

\*\*\*

في طريقهما إلى منزليهما المتجاورين ، قال ( إيفانوف ) :

— أما من أخبار عن رجل المخابرات المصرى ؟

زفر ( ياكوف ) في ضيق ، وقال :

— يميل المسئولون إلى فكرة هروبه خارج البلاد ، ولكننى

واثق من أنه مازال هنا ، في قلب ( موسكو ) .

رفع ( إيفانوف ) حاجبيه في دهشة ، وغمغم :

— هل لديك دليل قوى ؟

هز ( ياكوف ) رأسه نفيًا ، وقال :

— ولاحتى دليل ضعيف ، ولكن تعاملى السابق معه ،

يؤكد لى أنه لن يغادر ( موسكو ) ، مالم يستعد رفيقته .

هتف ( إيفانوف ) في دهشة :

— ولكنك أخبرتنى أنه يظنها في عداد الأموات .



تهجد ( ياكوف ) ، وقال :

— لقد عرف بشكل أو بآخر .. فلقد أخطأنا نحن ، حينما أرسلنا الفريق الطيّ الذي أنقذ حياتها إلى ( سييريا ) أيضًا ، ولا ريب أن أحدهم أخبره بالأمر ، دون أن يدري .

صمت ( إيفانوف ) لحظة ، ليستوعب كلمات ( ياكوف ) ، ثم هزّ كتفيه ، ومطّ شفتيه وهو يقول :

— لن يمكنه الوصول إليها بأي حال من الأحوال ، فهي تحت حراسة مشددة ، داخل إدارة مكافحة التجسس ذاته .

ابتسم ( ياكوف ) ابتسامة تجمع بين السخرية والمرارة ، وقال :

— مع مثل هذا الرجل ، لا يوجد مستحيل أيها الرفيق ، هل نسيت أنه نجح في الفرار من ( سييريا ) ؟

ساد الصمت بينهما تمامًا بعد هذا التعليق ، حتى توقفت بهما السيارة أمام منزل ( ياكوف ) ، فهبط منها في صمت ، ودون أن يتبادل تحية المساء مع زميله ، وأسرع إلى منزله .. ولم يكذب يعلق بابه خلفه ، حتى هرعت إليه ابنته الصغيرة ، وتعلقت بعنقه وهي تصيح في مرح :

— هل أحضرت لي بعض الحلوى يا أبتاه ؟

رَبَّت على شعرها الأشقر الناعم في حنان ، ثم التقطت من جيب معطفه كيسًا من الحلوى ، ناولها إياه وهو يقول في عاطفة :

— مشاكل الدنيا كلها لا يمكن أن تسبني إياه يا ( مارتينا ) .

التقطت الصغيرة كيس الحلوى في معادة ، وقبلت والدها ، ثم أسرعت إلى أمها ترميها الكيس ، كما اعتادت كل مساء ، وابتسمت والدتها وهي تقول لـ ( ياكوف ) :

— ستفسد أسنانها بحلواك هذه .  
ابتسم في هدوء ، وهو يعلق معطفه فوق المشجب ، ثم توجه إلى حجرة مكتبه ، فسأله زوجته :

— ألن تتناول طعام العشاء ؟

أجاب في صرامة :

— لا شهية لدى .. اذهبي أنت والصغيرة إلى الفراش ، وسأعمل أنا بعض الوقت ، ولا أحب أن يزعجني أحد .

ثم غاب داخل مكتبه ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، وأضاء الحجرة ..

لم يكذب الضوء يغمر حجرة مكتبه ، حتى سمع من خلفه صوتًا هادئًا ، يقول :



— كيف حالك يا عزيزى الرفيق الجنرال ؟

استدار ( ياكوف ) إلى مصدر الصوت في حركة حادة ،  
واتسعت عيناه في ذهول ، وهو يهتف في صوت مختق تملؤه  
الدهشة :

— أنت ؟

كان أمامه ( أدهم صبرى ) ، يتسم في هدوء ، ويصوب  
إليه مسدسه المصنوع من البلاستيك .

\*\*\*

مرت فترة طويلة من الصمت ، وكلاهما يحذق في وجه  
الآخر ، حتى غمغم ( ياكوف ) في حلق :  
— كيف وصلت إلى هنا ؟.. كيف تجاوزت حراس  
البنى ؟

ابتسم ( أدهم ) وهو يقول في هدوء :

— لم تعد مثل هذه الأمور تثير في نفسى القلق .  
تبادل الاثنان نظرات تفيض بالتحلى ، ثم عاد  
( ياكوف ) يسأله :

— ماذا تريد ؟

أجاب ( أدهم ) في صرامة :

— منى .

عقد ( ياكوف ) حاجبيه ، وهو يغمغم في خيرة :

— ( منى ) ؟

قال ( أدهم ) :

— رفيقتى ، التى تحفظون بها .

ابتسم ( ياكوف ) في دهاء ، وقال :

— اسمها ( منى ) إذن ، هذه أول معلومة أحصل عليها  
بشأنها :

ساد الصمت لحظة ، ثم قال ( أدهم ) في هدوء :

— لم أكن أحب أبدا أن أناصبك العداء أيها الرفيق  
( ياكوف ) ، فأنت رجل ممتاز ، تؤدى عملك في مهارة  
وإخلاص ، وأنا أيضا أؤدى عمل ، ولا توجد خصومات بين  
دولتنا ، وكل ما أسمى إليه هو أن أعود بزميلتى إلى القاهرة .

قال ( ياكوف ) في صرامة :

— لقد عملتما ضد الاتحاد السوفيتى ، ونحن لا نغفر

هذا .

مطأ ( أدهم ) شففيه ، وقال :

— لقد عملنا في الاتحاد السوفيتى ، وليس ضده



يا صديقي ، ولم نكن نهدف إلى أى مواطن سوفيتى ، أو أى هدف هنا ، وإنما كانت مهمتنا تتحصر فى إلقاء القبض على جاسوس أساء إلى دولتى ، وإعادته إليها ، لنتم محاكمته هناك .  
قال ( ياكوف ) فى غضب :

— كان يمكن لدولتكم طلب ذلك رسميًا .

ابتسم ( أدهم ) ، وقال :

— لست أميل إلى الخوض فى المتاهات السياسية

يا صديقى .. ولكن لو أننا فعلنا ذلك ، لكنكم ستلقون القبض عليه حقًا ، ولكنكم ستحفظون به هنا إلى الأبد ، وسيعارض هذا مع حاجتنا إلى المعلومات التى لديه .

لم يمر ( ياكوف ) جوابًا عند هذه النقطة ، فقد كان يعلم أن ( أدهم ) محق ، ولكنه عاد يقول فى عناد وصرامة :

— لا يمكننى أن أسلمك رفيقتك ، ولن يمكنك الوصول إلى مكانها قط .

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية ، وقال :

— إننى أعلم أين هى ، وكيف يمكننى استعادتها .

هتف ( ياكوف ) فى حزم :

— اتخذاك .

اتسعت ابتسامته ( أدهم ) ، وأطل من عينيه بريق مخيف ، وهو يقول :

— حسنًا أيها الرفيق .. إنكم تحتفظون بها فى القسم الطبى ، التابع لإدارة مكافحة التجسس ، وهو المبنى الصغير ، المكون من طابقين ، إلى يسار مدخل الإدارة ، ويرأسه الجنرال طيب ، ( رومانوف ) ، وهو رجل طويل ، رياضى ، صارم للغاية .

تدلت فك ( ياكوف ) السفلية ، أمام هذا السيل من المعلومات السرية ، الذى يتدفق من فم ( أدهم ) ، ولكنه مرعان ما تمالك جأشه ، وقال فى غضب :

— حتى وإن كنت تعلم أين هى ، فلن يمكنك الوصول إليها .. ما من أجبنى يمكنه أن يطأ أرض مكتب مكافحة التجسس السوفيتى بإرادته .

ابتسم ( أدهم ) فى هدوء ، وقال فى برود :

— ربما لن أنجح فى ذلك ، ولكن الرفيق الجنرال ( ياكوف ) سيفعل .

وفى حركة مفاجئة رشيقة ، انقض ( أدهم ) على ( ياكوف ) ، ولكمه لكمة صاعقة ، ألقت به أرضًا ، وسلبت منه الوعى .

\*\*\*



### ٣ - الرفيق المزيّف ..

استيقظت زوجة ( ياكوف ) في قلق ، ونظرت في ساعتها ، فوجدت عقاربها تشير إلى الثانية صباحًا .. فغادرت فراشها ، وتوجّهت إلى غرفة مكتب زوجها ، في محاولة لدعوته لبعض النوم ، قبل أن تشرق الشمس .. ولكنها لم تكد تغادر حجرتها ، حتى رآته واقفًا وسط زدهة المنزل المظلمة ، مرتديًا زيه الرسمي ، ويلتقط معطفه من المشجب ، فسألته في قلق :

— إلى أين يا ( ياكوف ) ؟

لم تلمح ملامحه جيدًا وسط الظلام ، ولكنه أجابها في خشونة :

— هناك عمل عاجل يحتاج إلىّ في الإدارة .

بدت لها لهجته عجيبة ، ولكنها ازدردت لُعابها ، وعادت تسأله في استسلام :

— هل ستغيب كثيرًا ؟

ارتدى معطفه ، وهو يقول في صرامة :

— ربّما .

ثم فتح باب المنزل ، وسألها :

— هل نامت ( مارتينا ) ؟

أجابته في دهشة :

— بالطبع .. إنها الثانية صباحًا .

لوح لها بكفه ، على نحو لم تعتده من قبل ، وأغلق الباب خلفه ، ثم أسرع إلى سيارته ، وأدار محركها ، وانطلق بها مبعّدًا .. ومن خلف نافذة منزله ، أطلّت زوجته في مزيج من القلق والخيرة ، ثم غمغمت في شحوب :

— عجبًا !! إنه يبدو مختلفًا تمامًا هذه الليلة .

\*\*\*

رفع جندي الحراسة ، في إدارة مكافحة التجسس السوفيتية قوّة مدفعه الرشاش ، في وجه السيارة التي غمرته أضواؤها المبهرة ، وهتف في صوت جهورى صارم :

— قف من أنت ؟ .. كلمة مرّ الليل .

صكّ مسامعه صوت غاضب يقول :

— أنا الذى ألقنك إيّاها أيها الغيى .

ميّز الجندي وجه الرجل ، الذى هبط من السيارة ، وقرن



ملاحه بصوته المميز ، فأسرع بخفض فوهة مدفعه  
الرشاش ، ، ويرفع يده بالتحية العسكرية ، قائلاً في احترام :  
— طاب مساؤك يا سيدي الرفيق الجنرال ( ياكوف ) ،  
معذرة ، فلم أتوقع ...

اقترب منه ( ياكوف ) ، وخذجه بنظرة قاسية صارمة ،  
وهو يقاطعه قائلاً :

— لم تتوقع ماذا أيها الرفيق الجندي ؟ .. إن واجبي يحتم  
عليّ أن أفاجنكم بزيارة ليلية من آن إلى آخر .

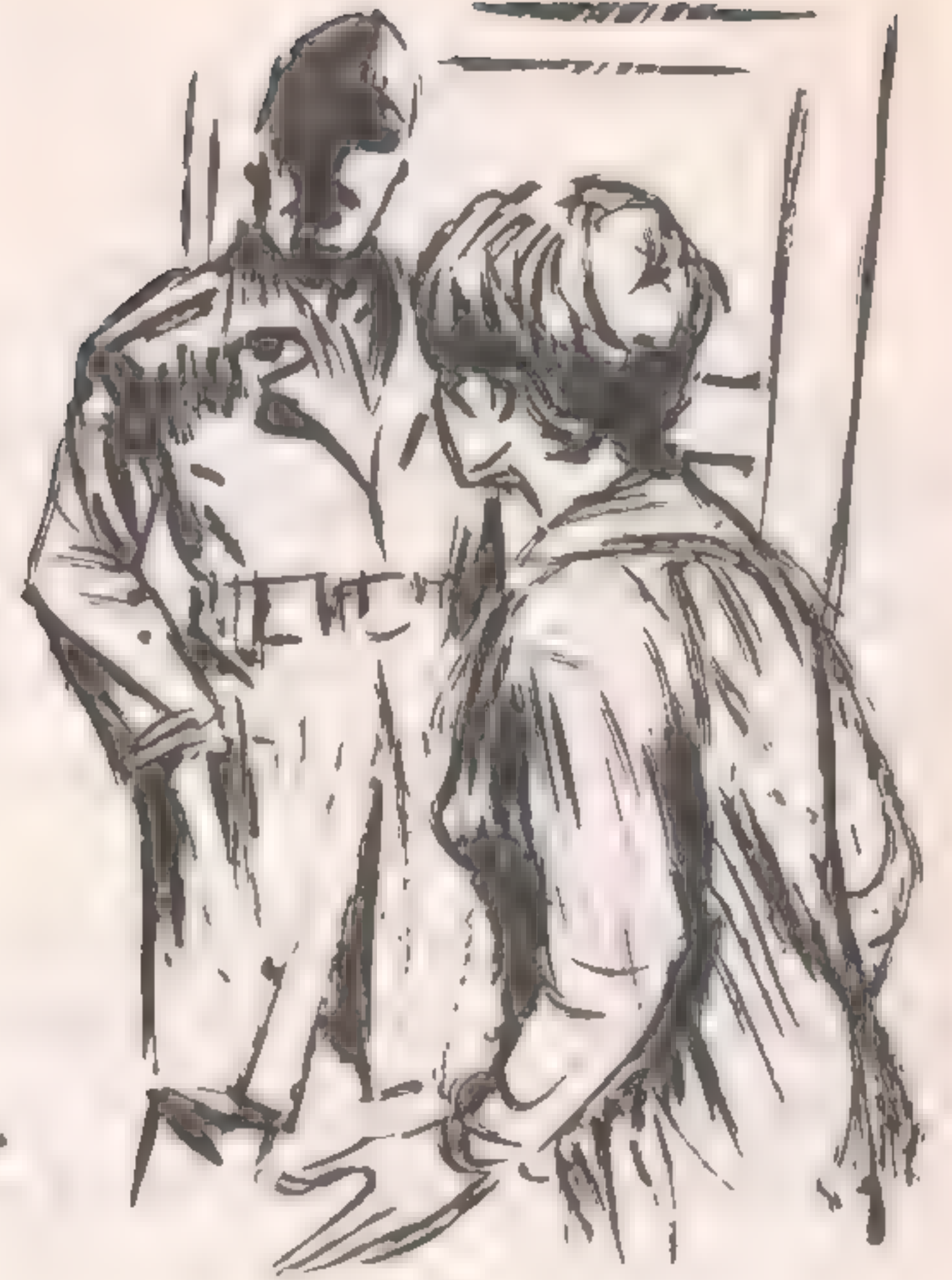
ارتجف الجندي ، وهو يتخذ وقفة عسكرية ثابتة ، على  
حين غبر ( ياكوف ) بوابة المبنى بخطوات واسعة ، وسار نحو  
الجناح الطبي ، وصاح في وجه حارسه ، وهو يعبر بابه :  
— أيقظ الجنرال ( رومانوف ) ، واطلب منه أن يلحق بي

في حجرة الفتاة المصرية .

أسرع الحارس بطيع الأمر ، على حين أشار ( ياكوف ) إلى  
حارس آخر في غطرسه ، وقال :

— تقدمني إلى حجرتها أيها الجندي .

تحرك الجندي أمامه في سرعة ، حتى توقف أمام حجرة في  
نهاية الممر ، فدفع ( ياكوف ) بابها ، وقال للحارس في  
صرامة :



ثم فتح باب المنزل ، وشأها :

— هل نامت ( مارتينا ) ؟



— لا تسمح لأحد بالدخول ، باستثناء الرفيق  
( رومانوف ) .

ثم أغلق الباب خلفه ، وأضاء الحجره ، ووقف لحظة يتأمل  
( منى ) التى بدت كملاك نام ، وهى ترقد مغمضة العينين ،  
فوق فراش أبيض يتوسط حجرة نظيفة ، أنيقة .. وتبدلت ملامح  
( ياكوف ) فى لحظة ، وتلاشت الصرامة من وجهه تمامًا ،  
وحل محلها شعور جارف بالحنان والعاطفة ، وغمغم وهو  
يتأملها فى ارتياح :

— ها نحن أولاء قد التقينا أخيرًا يا عزيزتى .

\*\*\*

اقترب ( أدهم ) ، الذى يتحل شخصية ( ياكوف ) ،  
من ( منى ) فى هدوء ، ووقف يتأملها لحظة ، فى حنان بالغ ،  
ثم مدّ أنامله ، وتحسّس جبينها فى حبّ ، ففوجئ بها  
ترتجف ، وتفتح عينيها على أنساعهما ، وتحذق فى وجهه بمزيج  
من الدهشة والخوف ، ثم هفت فى عصبية :

— ماذا تريد منى ؟

ابتسم ( أدهم ) فى حنان ، وهمس :

— لا تدعى تلك الملامح تخدعك يا عزيزتى .. إنه أنا ..

( أدهم ) .

عقدت حاجبيها فى خيرة أدهشته ، وغمغمت وكأنها تردّد  
اسمًا لم تسمعه من قبل :

— ( أدهم ) ؟

أدهشته خيرتها ، فأمسك كتفيها فى حنان ، وهمس :

— أنا ( أدهم صبرى ) يا عزيزتى .. ألم تعرّفى صوتى ؟ ..

ألم تفصح عني ليراقى ؟  
اختلط الخوف فى عينيها بمزيج من الخيرة والقلق ،  
وانعكس قلقها على صوت ( أدهم ) ، وهو يسألها :

— ألا تذكرين هذا الاسم مطلقًا ؟

هزّت رأسها نفيًا فى خيرة ، وغمغمت فى استكانة :

— كفّوا عن تعديى .. بالله عليكم كفّوا .

اعتدل ( أدهم ) عاقدًا حاجبيه ، فقد كانت هذه هى المرة  
الأولى ، التى يكشف فيها أمر فقدانها لذاكرتها ، ولقد حطّم  
هذا لحظه تمامًا .. فقد كان يعتمد على تعاونها التام ، أما  
والحال هكذا ، فهو يحتاج إلى إقناعها بهدفه أولاً ..

مال بوجهه نحوها ، وآله أن ابتعدت عنه بوجهها فى  
خوف ، ولكنه كبت مشاعره كعادته ، وقال فى حنان  
صارم :





مال بوجهه نحوها ، وآله أن استعدت عنه بوجهها ..  
 — حسنا .. ذعينا من أمر ذاكرتك الآن ، واستمعي إلى  
 جيذا .. إن الهدف من قدومي إلى هنا هو ....  
 بتر عبارته فجأة ، واستعارت ملامحه صرامة  
 ( ياكوف ) ، وانتصب واقفاً ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ،  
 حينما سمع صوت رجاج الباب وهو يفتح ، وكانت ( منى )  
 تتطلع إليه في دهشة ، عندما ظهر الرفيق ( رومانوف ) أمام  
 الباب ، وابتسم وهو يقول :  
 — مرحباً أيها الرفيق ( ياكوف ) .. ما الجديد الذى  
 دفعك إلى مثل هذه الزيارة الليلية المفاجئة ؟  
 عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وقال فى صرامة ، مقلداً صوت  
 ( ياكوف ) ، ولهجته :

— لقد طال تعاملكم مع هذه الفتاة ، دون أن نصل إلى  
 نتائج تستحق كل هذا الوقت الضائع .  
 عقد ( رومانوف ) حاجبيه بدوره ، وقال فى غضب :  
 — هذه أمور طيبة محضة أيها الرفيق ( ياكوف ) ، وهى من  
 صميم تخصصى ، ولن أسمح لك بـ .....  
 بتر عبارته بغتة ، حينما غمغمت ( منى ) فى ذهول :  
 — لست أفهم شيئاً .. لست أفهم شيئاً .  
 ثم استدارت إلى ( أدهم ) ، وهتفت فى خيرة :  
 — لماذا يخاطبك باسم ( ياكوف ) ؟ ألم تتحدث إلى مند  
 لحظات بالعربية ، وأخبرتني أنك تدعى ( أدهم صبرى ) ؟  
 من تكون حقاً ؟ من أنت ؟ وماذا تفعلون فى ؟  
 كانت تتحدث إليه باللغة العربية ، والتي لا يعنى منها  
 ( رومانوف ) حرفاً واحداً ، ولكن ذكر ( أدهم صبرى )  
 جعله يحدق فى وجه هذا الأخير بذهول ، ثم أسرع يده إلى  
 مسدسه ، وهتف فى صوت مختق :  
 — يا للشيطان !! أنت لست ( ياكوف ) .. أنت  
 مزيف .. مزيف .



## ٤ - الصِّراع ..

استيقظت زوجة الرفيق ( ياكوف ) فزعزعة ، على صوت جلبة ، لحيل إليها أنها تنبعث من حجرة مكتب زوجها ..  
فأسرعت إلى هناك ، وألصقت أذنها باب المكتب ، ولكن الجلبة كانت أعلى من أن تحتاج إلى إنصات خاص ، ولقد صحبتها مهمة ساخطة ، مما أثار رجفة فزع في جسد الزوجة ، فطرقت الباب في تردد ، وقالت :

— ( ياكوف ) .. هل عدت إلى هنا ؟

أجابها هتاف مختق ، وصوت سقوط جسم ما على الأرض .. فاستجمعت شجاعتها ، ودفعت باب المكتب ، وأسرعت تنير الحجرة .. ولم تكد تفعل حتى انبعثت من أعماقها شهقة قوية ، وهتفت في دعر :

— ( ياكوف ) !! من فعل بك هذا ؟

كان زوجها يرقد على أرض الحجرة ، موثق اليدين والقدمين ، مكبم الفم ، يصارع في شراسة للتخلص من قيوده ، فأسرعت إليه في لفة ، ونزعت كمامته وهي تهتف :

— من فعل بك ذلك ؟

استشق ( ياكوف ) الهواء في نهم ، ثم صاح في غضب :  
— إنه ذلك الشيطان المصرى اللعين !!  
سألته في توثر ، وهي تحل قيوده بأصابع مرتجفة :  
— أى شيطان مصرى ؟

انزع معصميه من القيود ، وأسرع يحل وثاق قدميه ، وهو يقول في حنق :

— لقد أفقدت وعي ، ولا ريب أنه يتحل شخصيتي الآن ، فهو شيطان في التكر .

ثم قفز واقفاً على قدميه ، وتناول سماعة الهاتف ، وصاح وهو يدير قرصه :

— ولكنه لا يعرف كلمة سر الليل ، وسأجعل هذه المعلومة الصغيرة تؤدي به إلى حتفه .

\*\*\*

كان حارس إدارة مكافحة التجسس السوفيتية يقف في ثبات ، حينما أسرع إليه ضابط الأمن في الإدارة ، وهتف به في انفعال :

— هل جاء الرفيق ( ياكوف ) إلى هنا ؟

أجابه الجندي ، وهو يشير إلى سيارة ( ياكوف ) :

— إنه بالداخل أيها الرفيق الضابط ، وما هي ذى

سيارته ....



قاطعه الضابط في صرامة :

— لا تسمح له بالخروج ، إنه شخص مُزَيَّف .

اتسعت عينا الجندي ذهولاً ، وغمغم :

— ولكن ؟...

أراد أن يقول أن الوجه والصوت والسيارة تؤكد أنه

( ياكوف ) الحقيقي ، ولكن الضابط قاطعه في صرامة :

— نفذ الأوامر فحسب أيها الجندي .

ثم أسرع إلى الجناح الطبي ، فهزّ الجندي كتفيه ، وقال :

— حسناً سأنفذ الأوامر فحسب .

أما ضابط الأمن ، فقد أسرع إلى الطابق الذي فيه حجرة

( منى ) ، وصاح في جندي الحراسة هناك :

— هل الرفيق ( ياكوف ) هنا ؟

اعتدل الحارس في وقفته ، وأشار إلى حجرة ( منى ) ،

قائلاً :

— إنه داخل حجرة الفتاة المصرية ، بصحبة الرفيق

الجنرال ( رومانوف ) يا سيدي .

افتر ثغر الضابط عن ابتسامة شرسة ، وغمغم :

— هكذا ؟

ثم انتزع مسدسه ، وأشار إلى الجندي ، قائلاً في صرامة :

— اتبعني أيها الجندي حاملاً مدفعك الرشاش ، منلقى

القبض عليه هناك .

تطلع إليه الجندي في ذهول ، وغمغم :

— معذرة أيها الرفيق الضابط .. ولكني لا أحب أن أزج

بنفسي في انقلاب عسكري .

استشاطت ملامح الضابط غضباً ، وصاح من بين أسنانه :

— أي انقلاب هذا أيها الأحق ؟ هذا الذي ينتحل صفة

الرفيق ( ياكوف ) شخص مُزَيَّف .. ولقد اتصل الرفيق

الحقيقي ، ونهني إلى ذلك .

تردّد الجندي مرّة أخرى ، وغمغم :

— ومن أدراك ؟ لقد يكون الحقيقي يا سيدي ..

هتف الضابط في غضب :

— الرفيق ( ياكوف ) الحقيقي وحده يعرف رقمي

السري ، واسم الكودي أيها الغي .

ويبدو أن هذه المعلومات حقاً على درجة بالغة من

الخطورة .. فقد اتع الجندي تماماً ، وشهر مدفعه الرشاش ،

وبع الضابط إلى حجرة ( منى ) ..



لم يطرق الضابط باب الحجره ، وإنما دفعه ، واندفع معه  
الجندي إلى الداخل ، شاهرين سلاحيهما .. وهتف الضابط في  
صرامة :

— سأطلق النار عند ....

بتر عبارته دلفة واحدة ، حينما طالعه عينا ( مني )  
الداهلتين ، المليتين بالخيرة والدهشة ، وانتقل بصره إلى  
حيث يرقد جسد الرفيق ( رومانوف ) ، وسط الحجره ،  
وهتف :

— يا للشيطان !! ماذا حدث هنا ؟

ثم أسرع يحاول إنعاش ( رومانوف ) ، الذي فتح عينيه في  
صعوبة وتلفت حوله صائحا :

— أين ذلك الشيطان ؟ .. أين ذهب ؟

هتف الضابط :

— ماذا حدث بالضبط يا سيدي الرفيق الجنرال ؟

نهض ( رومانوف ) ، ونفض الغبار عن ثيابه ، وقال في

حنق :

— .. .. .. حينما تجئت إلى هذه الحجره ، كان هناك شخص يشبه  
تماما الرفيق ( ياكوف ) ، ولكنه لم يكن هو .. لقد عرفت

ذلك من حديثه للفتاة .. فأخرجت مسدسي محاولا اعتقاله ،  
إلا أنه تحرك فجأة وبسرعة البرق ، وأطاح بمسدسي ، ثم  
لكمني ، ولم أدر بعدها ماذا حدث .

استدار الضابط إلى ( مني ) ، وسألها في خشونة :

— ماذا حدث بعد ذلك ؟

لم تنطق بكلمة ، ولكنها أشارت إلى النافذة في صمت ،  
وهي تنظر إلى ( رومانوف ) في خيرة ، فهتف هذا الأخير :

— أفهمت .. لا ريب أنه فر من النافذة .

ثم التفت إلى جندي الحراسة ، وصاح في صرامة :

— ضع حراسة مشددة على هذه الحجره ، وأمام

نافذتها .. ولا تسمح لسواي بالدخول ، أو الخروج منها .

ثم أشار إلى ضابط الأمن ، وقال :

— هيا بنا .. هناك الكثير مما يجب علينا أن نفعله الآن ..

وسيكون عملنا الأول هو أن نمنع ذلك الشيطان المصري من

مغادرة المكان .

\*\*\*



## ٥ - الشيطان ..

أشعل ( ياكوف ) سيجارته ، وأخذ ينفث دخانها ، وهو يدور حول مكتبه ، في إدارة مكافحة التجسس ، وعلى مقربة منه جلس ( إيفانوف ) يتشاءب ، وينفث دخان سيجارة مماثلة ، على حين ألقى ( رومانوف ) نظرة على ساعته ، وقال في ضجر :  
— إنها الخامسة صباحا ، ولم يظهر أى أثر بعد هذا الشيطان .

غمغم ( إيفانوف ) :

— هذا أمر عجيب حقا .

هتف ( ياكوف ) في غضب :

— ولكن أين ذهب ؟.. جندي الحراسة يؤكد أنه أخبره كلمة السر ، وأنه لم يغادر المبنى ، لا هو ولا أى شخص آخر .. ولقد فحصنا أوراق جميع الموجودين هنا ، وفتشنا كل شبر في الإدارة ، ولم نعث له على أدلى أثر .

قال ( رومانوف ) في حلق :

— هل تبخر ؟

ساد الصمت لحظة ، ثم استدار ( ياكوف ) إلى ( رومانوف ) ، وسأله :

— قصّ علىّ مرة أخرى ما حدث .

عاد ( رومانوف ) يقصّ عليه كيف دخل إلى حجرة ( منى ) ، وكيف تحدثت هي إلى ( أدهم ) في دهشة ، مما جعله يكشف زيفه ، وكيف انقضّ عليه ( أدهم ) ، وأفقده الوعي بسرعة خارقة .. واستمع إليه ( ياكوف ) في انتباه ، على الرغم من أنها المرة العاشرة ، التي يطلب منه فيها إخباره بالقصة ذاتها ، ثم غمغم وكأنه يحدث نفسه :

— هذا يؤكد إذن أن الفتاة لم تستعد ذاكرتها حقا ، وإلا

لما كشفت على هذا النحو .

عقد ( رومانوف ) حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

— لقد أخبرتك بذلك ألف مرة أيها الرفيق .

تطلّع إليه ( ياكوف ) بلا انفعال ، ثم غمغم :

— أعتقد أنه من الأفضل أن نبلغ الكرملين بما حدث (\*) .

\* الكرملين : مقر الحكم السوفيتي



صحح ( رومانوف ) ، وقال :

— لست أؤيد هذه الفكرة أيها الرفيق ( ياكوف ) .

استدار إليه ( ياكوف ) ، وسأله في حدة :

— ولماذا ؟

أجابه ( رومانوف ) في هدوء :

— لأنه سيكون من المخجل أن نبلغهم باختفاء جاسوس ،

داخل إدارة مكافحة التجسس ، دون أن نعثر له على أثر ..

سيكون هذا أقرب إلى الكوميديا المبكية .

عقد ( ياكوف ) حاجبيه في سخط ، على حين قال

( إيفانوف ) :

— هذا صحيح .

هتف ( ياكوف ) في غضب :

— لا بد إذن من العثور عليه .

ساد الصمت لحظة أخرى ، ثم قال ( رومانوف ) :

— إلى أن يتم هذا ، هناك إجراء طئى وأمنى عاجل ، لا بد

من اتخاذ أولاً .

سأله ( ياكوف ) في عصبية :

— وما هو ؟

أجابه ( رومانوف ) في هدوء :

— أن بعد الفتاة المصرية عن هنا .

تصلبت يد ( ياكوف ) في طريقها لسيجارتته ، على حين

حدق ( إيفانوف ) في وجه ( رومانوف ) بدهشة ، وتابع هذا

الأخير في هدوء :

— لقد عرف هذا الشيطان مكانها ، ولا ريب أن هذا

سيصنع حولها نوغاً من التوتر ، يفوق علاجها ، ويؤخر عملية

شفائها ، واستعادتها لذاكرتها .

خيم الصمت طويلاً ، ثم ارتسمت ابتسامة غامضة عجيبة

على شفتى ( ياكوف ) ، وغمغم في هدوء :

— إذن فهذا هو ما تقترحه .

أجاب ( رومانوف ) في هدوء :

— هذا ما أراه صحيحاً .

نفث ( ياكوف ) دُخان سيجارته في هدوء وبطء ، ثم خفض

عينيه ، وقال :

— لا بأس ، ولكن هناك أمراً يثير خيوتى .

أسرع ( إيفانوف ) يسأله :

— أى أمر هذا ؟



عقد ( ياكوف ) كفيه خلف ظهره ، وأخذ يتحرك في  
الحجرة صامتًا بعض الوقت ، ثم قال دون أن يواجه أيًا من  
الرجلين بوجهه :

— لقد أثار هروب ذلك الشيطان خيوتي منذ البداية ..  
لأننا لم نكن نعلم من المفروض أنه — هرب منها ، تطل مباشرة  
على فناء الإدارة ، حيث يتواجد دائمًا جنود الحراسة .. ثم إنه  
من العجيب عدم محاولته اصطحاب الفتاة ، التي خاطر بحياته  
من أجلها .

غمغم ( إيفانوف ) :

— وماذا يعنى هذا ؟

رفع ( ياكوف ) عينيه إلى ( رومانوف ) ، وتابع وكأنه لم  
يسمع ( إيفانوف ) :

— وأنت أمرت رجالك بحراسة الحجرة ، وبتشديد  
الحراسة على النافذة ، ثم تطلب الآن اصطحاب الفتاة إلى  
خارج المكان .. كل هذا يثير خيوتي أيها الرقيق  
( رومانوف ) .

عقد ( رومانوف ) حاجبيه في غضب ، وقال :

— أفصح عما تعنيه أيها الرقيق .

رفع ( ياكوف ) سبابته أمام وجهه ، وقال وهو يتسم  
نفس الابتسامة الغامضة :

— أغنى أن المكان الوحيد ، الذى لم نبحث فيه عن ذلك  
الشيطان هو حجرة المصرية ؛ لأنك أمرت الجميع بمغادرتها ،  
وطلبت من الجنود عدم السماح لأى كائن سواك بدخولها .  
نهض ( إيفانوف ) من مقعده ، وغمغم في توثر :

— ماذا يعنى هذا ؟

أشار ( ياكوف ) إلى ( رومانوف ) ، وقال في هدوء :

— إن ما أعنيه ببساطة يا عزيزى ( إيفانوف ) ، أن  
الواقف أمامنا ليس ( رومانوف ) الحقيقى ، وإنما هو ذلك  
الشيطان المصرى ( أدهم صبرى ) .

وفى لمح البصر ، انتزع ( رومانوف ) مسدسه ، وصوبه  
إلى الرجلين ، وهو يتسم ابتسامة ساخرة ، بدت مثيرة  
للدهشة وسط ملامحه الصارمة ، وقال في هدوء :

— أحسنت يا عزيزى ( ياكوف ) .. أنت حقًا أكثر  
الشياطين عبقرية فى علم الاستنتاج .. إن كل كلمة نطقت بها  
كانت حقيقة .. حقيقة تمامًا .

\*\*\*



## ٦ - الخروج من الجحيم ..

ساد صمت ثقيل عجيب في حجرة ( ياكوف ) ، إلى أن قطعته ( إيفانوف ) في ذهول :

— مستحيل !!

نفث ( ياكوف ) دخان سيجارته في هدوء عجيب ، وهو يتطلع إلى ( أدهم ) ، قائلاً :

— لقد أخبرتك من قبل ، أنه مع هذا الشيطان لا يوجد المستحيل يا ( إيفانوف ) .

هتف ( إيفانوف ) ، ولم يزايله ذهوله بعد :

— ولكن الملاح والصوت و ....

اختلقت الكلمات في حلقه ، فمنعته من الاستمرار ، على حين ابتسم ( أدهم ) ، وقال :

— لقد كانت الفكرة وليدة اللحظة يا صديقي ، لقد

كشف ( رومانوف ) شخصيتي ، فاضطرت لمهاجمته .. ولما

كنت أتوقع وصول ( ياكوف ) الأصلي لي أية لحظة ، أسرعت

بعمل قناع يحمل وجه ( رومانوف ) ، وانتحلت شخصيته ، ووضعت ( رومانوف ) في صوان حجرة ( منى ) ، ولن يستعيد وعيه قبل ساعة على الأقل .. ثم خدعت ضابط الأمن بقصة ملفقة ، تحمل الكثير من الحقيقة ، وأمرت بإغلاق الحجرة ، وعدم السماح لأحد بدخولها ، حتى لا يكشف أحد وجود ( رومانوف ) الفاعل الوعى ، إلا بعد اصطحابى

( منى ) إلى الخارج و ....

ضحك ( ياكوف ) فجأة ، وقاطع ( أدهم ) قائلاً :

— كم أتمنى لو أنك واحد منا أيها المصرى .

نظر إليه ( إيفانوف ) في دهشة ، على حين استطرد هو ،

دون أن يرفع عينيه عن ( أدهم ) :

— إننى أحترم العباقرة دائماً في مجالنا هذا ، وأعلم جيداً

أن الظروف قد تضطر بعضنا للمصادمة مع البعض الآخر ،

وفي هذه الحالة يسمى كل منا للنصر والتفوق ، وهذه هى

قواعد اللعبة في عالمنا .

نفث دخان سيجارته مرة أخرى ، وعاد يتابع :

— قد نتحارب طويلاً ، ولكن حربنا دائماً تكون حرباً

نظيفة .. فكل منا يسعى من أجل وطنه ، ولكن قواعد اللعبة

قد تضطرنا للتخلى عن هذه النظافة من أجل النصر .



سأله ( أدهم ) في برود :

— ما الذى تهدف إليه من وراء هذه المحاضرة الطويلة ؟

ابتسم ( ياكوف ) ، وقال :

— أريد أن أقول إننى قد كشفت خدعتك منذ ساعة على الأقل ، ولكننى كنت أنتظر منك أن تقع فى هذا الخطأ ، وتطلب الحصول على الفتاة بأية حجة كانت ، ولكن فترة الانتظار هذه لم تضع عبثاً .

وبرقت عيناه ببريق شيطاني . وهو يردف قائلاً :

— لقد اكتسبت خبرة كافية ، من صراعاتي الطويلة معك أيها الشيطان .. وأصبحت لدى القدرة على استتاج خطواتك القادمة ، وأساليبك الشيطانية المعقدة .. وحينما كشفت لعبتك ، طلبت من ضابط الأمن إحاطة حجرة مكتبى بالجنود ، وإلقاء القبض عليك فور خروجك من هنا ، ما لم أصحبك أنا ، أو ( إيفانوف ) .. وطلبت من جنود العاصمة إحاطة السفارة المصرية ، وعدم السماح لأى كائن من كان بدخولها ، أو الخروج منها ، تحت ادعاء وجود قبلة فى المكان .. وهكذا تجد نفسك بين شقى الرُحى .. فالخروج من الإدارة أصبح مستحيلاً ، وحتى لو نجحت فيه ، فستجد كل

الطرق مسدودة أمامك ، ولن يمكنك العودة إلى السفارة .. كما لن يمكنك عبور أى من حدود الاتحاد السوفيتى .. فلقد ضاعفت الحراسة على الحدود ثلاث مرات ، ولن يمكنك عبور نقطة واحدة من نقاط الحدود ، دون تصريح خاص منى .  
العقد حاجباً ( أدهم ) فى غضب ، على حين أطلق ( ياكوف ) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— لقد وقعت أخيراً أيها الشيطان المصرى ، ولن يمكنك الخروج من هذا الجحيم قط .

\*\*\*

صمت عجيب ذلك الذى ساد فى الحجرة ، فى الدقيقة التى تلت حديث ( ياكوف ) ..  
( ياكوف ) كان يحدق فى وجه ( أدهم ) فى ظفر ، وثقة ..  
( إيفانوف ) كان يحاول استيعاب هذا السيل من الألغاز ، والاستنتاجات ، الذى انهال عليه ..  
أما ( أدهم ) فقد نمت ملامحه عن تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن قطع الصمت ، قائلاً فى هدوء :  
— لحظة رائعة أيها الرفيق ( ياكوف ) ، ولكنها تحوى ثغرة واضحة كالعادة .



هتف ( ياكوف ) في جِدَّة :  
— أتحدّاك .

ابتسم ( أدهم ) ، وقال :

— إننى أقبل التحدى يا عزيزى ( ياكوف ) ، ولكن  
تذكّر أن ( رومانوف ) وخده هو الممنوع من مغادرة  
مكتبك .

ابتسم ( ياكوف ) في سخرية ، وقال :

— لا توجد قوة فى الأرض ، يمكنها إجبارى أنا ، أو  
( إيفانوف ) على معاونتك .

قال ( أدهم ) فى برود :

— لن أطلب معاونة أحد كما أياها الرفيق ، ولكنك  
ستعاوننى دون أن تدري .

عقد ( ياكوف ) حاجبيه ، وقال فى عصيَّة :

— مستحيل !!

وفى هدوء شديد ، نزع ( أدهم ) القناع الذى يحمل  
ملاح ( رومانوف ) عن وجهه ، فتراجع ( ياكوف )  
و ( إيفانوف ) فى ذهول ، فقد كانت ملاح أدهم تحت  
القناع ، تحمل وجه ( ياكوف ) تماماً ..

احتبست الكلمات فى حلق ( إيفانوف ) من شدة  
الذهول ، على حين غمغم ( ياكوف ) :

— هذا مستحيل !!

قال ( أدهم ) فى برود :

— كنت أتوقّع أن أحتاج إلى ملاحك مرّة أخرى ،  
فاحتفظت بها و ....

وفجأة .. انقضّ ( ياكوف ) على ( أدهم ) ، وهو  
يهتف :

— لن تهزمنى مرّة أخرى .. لن تفعل .

وفى توافق عجيب ، انقضّ ( إيفانوف ) بدوره على  
( أدهم ) ، وقرّر السوفيتيان هزيمة ( رجل المستحيل ) هذه  
المرّة مهما كان الثمن .

\*\*\*

من الضروري أن نذكر أن رجال مكتب مكافحة  
التجسس السوفيتى ، يتلقون تدريبات رفيعة المستوى ، تجعل  
من الواحد منهم مقاتلاً ، لا يشقّ له غبار ، ويدعى مدربوهم  
أن الرجل الواحد قادر على هزيمة ستة رجال أشداء بذراعيه  
العاريّتين ..



ولقد كان ( أدهم ) يواجه اثنين منهما ..

وكان الموقف حقاً عسيراً ..

في قتال ( أدهم ) السابق مع هؤلاء الرجال ، كان يعتمد على ما يسمى بالحرب الخاطفة ، والهجوم المباغت .. أما هذه المرة فقد كانا هما البادئين ..

كان ( أدهم ) يمسك مسدسه ، ويمكنه ببساطة متناهية إطلاق النار عليهما ، ولكنه لم يفعل .. ولو أنه فعل .. لو أنه أطلق النار على رجلين أعزلين من السلاح ، ما كان هو ( أدهم صبرى ) الذى نعرفه ..

لقد غاص ( أدهم ) إلى أسفل ، متفادياً لكمرة ( ياكوف ) ، ثم مال يساراً متجنباً ضربة ( إيفانوف ) ، وانتصب واقفاً على حين غرة ، وهوى على فك ( إيفانوف ) بلكمة ساحقة ، ثم أعقبها بأخرى فى معدة هذا الأخير ، ودار على عقبيه كراقص باليه محترف ، وركل ( ياكوف ) فى أنفه ، ثم هوى على فكّه بلكمة من يسراه ، تبعها ثانية يميناه ، على عنق ( ياكوف ) .. وانتهى الصراع .

وقف ( أدهم ) لحظة يتأمل الرجلين ، اللذين فقدوا



قال ( أدهم ) فى برود :

— كنت أتوقع أن أحتاج إلى ملامحك ، مرة أخرى ، فاحفظت بها ..



وعيهما ، وحرك رأسه في أسف ، ثم رفع عينيه إلى الحبال  
المدلاة من ستائر النافذة ، وغمغم :

— يؤسفني أنني مخلوق من نوع غير قابل للاستسلام  
يا عزيزي ( ياكوف ) ، ولا بد لي من أن أحاول ، والله وحده  
يعلم إن كان قد قدر لي الخروج من هذا الجحيم الثلجي أم لا ؟

\*\*\*



## ٧ — نار بلا دُخان ..

طرق ضابط الأمن باب مكتب ( ياكوف ) ، وانتظر لحظة  
حتى رأى وجه هذا الأخير أمام الباب ، فهتف في انفعال :  
— لقد كانت نظرتك سليمة يا سيدي .. لقد عثرنا على  
الرقيق ( رومانوف ) الأصلي مقيّدا في صوان حجرة الأسيرة  
المصرية .

أدهشه أن سأل ( ياكوف ) في برود :

— أين هو ؟

صاح ضابط الأمن :

— في حجرته يا سيدي .. وهو ثائر للغاية ، ويريد رؤية  
ذلك المحتال الشيطان ، الذي انتحل شخصيته .

خطا ( ياكوف ) خارج حجرته ، وأخلق بابها خلفه في  
إحكام ، وقال :

— لقد ألقينا القبض عليه في الداخل ، والرقيق  
( إيفانوف ) يقوم باستجوابه شخصيا .. قف بنفسك لحراسة  
المكان ، ولا تسمح لأي مخلوق بالدخول ، حتى أعود إليك .



غمغم ضابط الأمن في دهشة .

— أحرمه بنفسى ١٢

رَبَّتْ ( ياكوف ) على كفه ، وقال في صرامة :

— أنت الوحيد الذى أمنحه ثقتى الآن أيها الرفيق .

انفضحت أوداج ضابط الأمن ، ورفع يده بالتحية

العسكرية ، وهو يقول في حماس :

— إننى أفخر بذلك يا سيدي .

ثم انتزع مسدسه ، ورسم على ملامحه الصرامة ، ووقف

أمام الباب كالطود .. فابتسم ( ياكوف ) ، وقال :

— حسنًا فعلت أيها الرفيق .

ازداد شعور الفخر في نفس ضابط الأمن ، ولكنه لم يلمح

تلك الابتسامة الساخرة ، التى ارتسمت على وجهه

( ياكوف ) ، بعد أن استدار ليبعد في خطوات سريعة ..

لم يكن ( ياكوف ) هذا سوى ( أدهم ) متكبرًا ، ولقد توجه

من فوره إلى حجرة ( منى ) وأشار إلى جنود الحراسة ، قائلاً :

— أحضروا هذه المصرية إلى سيارتى .

ثم أسرع إلى سيارته مرفوع الرأس في غطرسة ، وجلس في

مقعدى الخلفى يدخن واحدة من السجائر السوفيتية ،

على حين أدار السائق محرك السيارة ، وانتظر الأمر

بالانطلاق ..

مرّت لحظات ثقيلة ، قبل أن تصل ( منى ) ، وحولها ثلاثة

من جنود الحراسة ، احتل أحدهم المقعد المجاور للسائق ، على

حين دفعها الآخرين إلى جوار ( أدهم ) ، على المقعد الخلفى ،

وهنا قال ( أدهم ) للسائق في لهجة أمرة :

— إلى الكرملين .

انطلق السائق بالسيارة على الفور ، وغبر بوابة المبنى ، ثم

اندفع في الطريق إلى قلب ( موسكو ) .. ظلت ( منى )

ساكنة بعض الوقت ، وهى تنقل بصرها ما بين الطريق

والسائق ، والرجل الجالس إلى جوارها ، ثم غمغمت في

خبرة :

— ماذا يريد منى رجال الكرملين ؟

ابتسم ( أدهم ) ، وقال بالعربية :

— يريدون إرسالك إلى موطنك .

اتسمت عيناها في ذهول ، وغمغمت وهى تتراجع في

خوف :

— من أنت ؟



• ولجأة .. ارتفع مسدس ( أدهم ) من جيب معطفه ،  
وانجهت قوته إلى السائق ، والجندى الذى يجلس إلى جواره ،  
واستعاد ( أدهم ) صوته الأصل ، وهو يقول فى لهجة امرأة  
ساخرة :

— حسنًا .. لقد انتهت الرحلة هنا بالنسبة إليكما .  
أوقف السائق السيارة فى حدة ، وصاح فى إحباط :  
— يا للشيطان !!

على حين سقطت فك الجندى السفلى ، وأفلت مدفعه  
الرشاش من يده ، ورفع يديه عالية ، حتى أن كفيه ارتطمتا  
بسقف السيارة ، فقال ( أدهم ) فى هدوء :  
— والآن .. اهبطا من السيارة ، وانطلقا غداً بأقصى  
سرعة .

أطاع الرجلان الأمر ، وتسابقا مع الريح فى غدوهما ،  
حتى ابتعدا تمامًا ، فغادر ( أدهم ) السيارة وهو يقول :  
— انتقل إلى المقعد الأمامى يا عزيزتى ، فما زال أمامنا  
طريق طويل ، حتى نعبُر أبواب هذا الجحيم .

غادرت ( منى ) المقعد الخلفى ، وانتقلت إلى المقعد  
الأمامى فى استسلام ، وأخذت تحديقاً لوجه ( أدهم ) بخبرة  
بالغة ، وهو يدير محرك السيارة ، ثم سأله :

— مَنْ أنت ؟ .. ولماذا تفعل كل هذا من أجل ؟

أوقف ( أدهم ) محرك السيارة ، ومال نحوها قائلاً :

— حاولى أن تتذكرى يا عزيزتى .. أنا ( أدهم

صبرى ) ، زميل عملك فى المخابرات المصرية .. ولقد خضنا

معا عشرات المغامرات ، فى معظم دول العالم ، وواجهنا الموت

أكثر من مرة ، مع ( المافيا ) ، و ( سكوريون ) ،

و ( الموساد ) .. وتحذينا عباقرة عالم المخابرات ، مثل ( حاييم

شيمون ) ، ( سونيا جراهام ) و ( جيمس براند )

و ( أدوين مارشال ) .. وطاردتنا سلطات الدول العظمى

كلها .. ألا تذكرين شيئاً من هذا ؟

لم تحرك ساكناً ، وهى تتأمل فى خيرة وشروء ..

كان جزء من عقلها يجد صدًى لهذه الأسماء والكلمات ،

على حين كان الجزء الآخر يصنع ما يشبه الضباب حولها ..

كانت تشعر بنار تستعر فى أعماق عقلها ..

نار بلا دخان ..

نار تبعث فى جسدها رجفة الطبع ..

وشعر ( أدهم ) بما تعانیه ، فتهدى فى خيرة ، وأسند ظهره

إلى مسند مقعده ، وأغلق عينيه ..



لم يكن يدري ما ينبغي أن يفعله ، لمعاونتها على استعادة ذاكرتها ، ولكنه كان مستعداً لدفع نصف عمره من أجل ذلك .. فنجاحهما في اجتياز هيب الثلج هذا يحتاج إلى عقلها ، وإلى ذاكرتها واستجابتها ، وإلا فسيزداد الأمر صعوبة ، وسيصبح حقاً مستحيلاً ..

أورثته خيرته شعوراً بالاغتياق ، وشعر أنه لم يعد يحتمل ملامح ( ياكوف ) التي يحملها ، فمد يده في هدوء ، وانتزع من فوق وجهه القناع ، الذي يحمل وجه ( ياكوف ) .. لم يكده بفعل ، حتى اتسعت عيناه ( منى ) ، وتراجعت في ذهول ..

مرق وجه ( أدهم ) الوسيم من عينيها ، وملاً قلبها ، ثم تصاعد مع دماثها إلى رأسها ، واختلط ببران خيرتها ، التي قفزت إلى لسانها ، فوجدت نفسها تهتف في حرارة :

— ( أدهم ) .. يا إلهي !! أنت على قيد الحياة ؟ .. أنت حي ؟

التفت عينا ( أدهم ) بريق اللهفة والأمل ، على حين صاحت ( منى ) وهي تتلفت حولها في خيرة :

— أين نحن ؟ .. هل لمبحنا في الفرار من ( ياكوف ) ؟ ..

عجباً !! .. لقد انخفضت برودة الجو كثيراً ، ولم تعد الثلوج تملأ كل شيء .

انطلقت من صدر ( أدهم ) زهرة قوية ، تشفت عن ارتياحه وظفره ، ثم التقط كف ( منى ) الرقيقة بين راحتيه ، وهتف في حرارة وحنان :

— لقد التهب الثلوج وذابت يا ( منى ) .. وأشرقت شمس الأمل من جديد .

ازدادت خيرتها ، وهي تقول :

— ماذا حدث ؟ .. هناك شيء لا أفهمه .

أطلق ضحكة أفرغ بها كل انفعالاته ، ثم عاد بدير محرك السيارة ، قائلاً :

— سأشرح لك كل شيء يا عزيزتي .. أمّا الآن فقد انبعثت لي عروقي قوة جديدة ، قوة كافية لإطفاء نيران الجحيم كله .. وبلا دُخان .

\*\*\*

باسم

www.dvd4arab.com



## ٨ - بلا أمل ..

وقف ضابط الأمن في إدارة مكافحة التجسس يرتجف ،  
وهو يقول محاولاً الدفاع عن نفسه :

— أى إنسان كان سيقع في الفخ نفسه أيها الرئيس  
الجنرال .. لقد كان هذا الشيطان يشبهك تمامًا في صوته ،  
ولبرائه ، وملاعبه ، وحتى أسلوبه .. أى مخلوق كان سيخدع  
فيه ، حتى زوجته نفسها .

تذكر ( ياكوف ) كيف أن زوجته لم تكشف خداع  
( أدهم ) ، وهو يتحلل شخصيته ، فعقد حاجبيه ، وغمغم في  
غضب :

— لقد خدعنا جميعًا .

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته ، وقال في خنق :

— ولكن أين ذهب ؟

وقلب كفيه في خيرة ، وهو يستطرد :

— لقد أغلقنا البلاد تمامًا ، فكل من يسير في الشوارع يتم

تفتشه في دقة ، وأخذ بصمات أصابعه .. وتطبق هذه  
الإجراءات بشكل أكثر صرامة في المطارات والموانئ ، وحول  
السفارة المصرية ، ولا أثر لهذا الشيطان .

هز ( إيفانوف ) رأسه في خيرة بالغة ، وقال :  
— لقد عثر رجالنا على السيارة خاوية ، وهم يؤكدون أن  
أحدًا لم يغادر السفارة المصرية قط منذ البارحة ، وكل الحدود  
مغلقة في حزم ، وهو يبدو وكأنه قد تبخر مع زميلته .

غمغم ( ياكوف ) في خنق :

— إنهما هنا .

رفع ( إيفانوف ) عينيه إليه في دهشة وتساؤل ، فعاد يديق  
سطح مكتبه بقبضته ، وهو يردد في غضب :

— إنهما هنا في ( موسكو ) ، وأقسم على ذلك .

غمغم ( إيفانوف ) في خيرة :

— ولكن أين ؟

رفع ( ياكوف ) عينيه إلى سقف الحجرة ، وقال في خنق :

— حتى أعلم يا صديقي .. لن يبدأ لي بال .

\*\*\*

في واحد من أحياء ( موسكو ) العريقة ، حيث تكتظ



أوماً ( حازم ) برأسه موافقاً ، وقال :

— إنهم لم يهزمونا بعد .. فأنا و ( قدرى ) نقيم في هذا المنزل ، بجنسية يوغوسلافية ، منذ غادرت أنت السفارة خلف ( منى ) .. ولقد أتيتما أنتما فور هروبكما إلى هنا ، دون أن يراكما أحد ، ولن يفكر أحدهم في تفتيش منازل ( موسكو ) كلها ، واحداً بعد الآخر .

غمغم ( أدهم ) في سخرية :

— إذن فقد انتقلنا من سجن إلى سجن .

هز ( حازم ) كتفيه في خيرة ، وقال :

— وماذا يمكننا أن نفعل ؟ كل ( روسيا ) محاطة برقابة صارمة ، ولا يمكن حتى لرجال الأمن عبور حدودها ، دون خطاب خاص من ( ياكوف ) .

استدار ( أدهم ) إلى ( قدرى ) ، وسأله :

— ألا يمكنك تزوير توقيعك ؟

هتف ( قدرى ) في استكاز :

— هل تسألني يا ( أدهم ) ؟ .. إنني أستطيع تزوير توقيع

الشیطان نفسه ، ولكنني أحتاج إلى رؤية توقيع واحد على الأقل .

المناطق بالسكان ، وفي منزل صغير بسيط ، رفع ( قدرى ) كوباً من الشاي إلى شفّيه ، ورشف كمية كبيرة منه جرعة واحدة ، ثم ابتسم وهو يقول في مرح :

— لهذا كنت أتمنى عودتك إلينا يا ( منى ) فأنت تصنعين أفضل كوب شاي في العالم .

ضحكت ( منى ) ، وهي تقول :

— ماذا ستفعل إذن ، حينما تذوق وجبة المكرونة التي أعددتها لك .

اتسعت عينا ( قدرى ) ، واهتز جسده البدين في سعادة ، وهو يقول :

— يا إلهي !! سأطلب ترفيتك عندما نعود إلى القاهرة .  
لم يكذب ينطق بعبارته هذه ، حتى تولاه الندم ، فقد انطلقاً بريق المرح فجأة من عيني ( منى ) ، واكتست ملامحها بالحزن وخيبة الأمل ، على حين تبادل ( أدهم ) و ( حازم ) نظرات ذات معنى ، وقال ( أدهم ) :

— يبدو أن عودتنا إلى القاهرة ستأخر بعض الوقت يا ( قدرى ) .. فلقد أثار هروبنا جنون السوفييت ، حتى أنهم لا يريدون السماح لموضة عبور حدودهم .



عقد ( حازم ) حاجيه ، وقال :

— الحصول على توقيع من ( ياكوف ) أكثر صعوبة من الحصول على توقيع الشيطان نفسه .

تعلقت عيون الجميع بوجه ( أدهم ) ، وكأنهم يبحثون عنده عن الحل .. فعقد حاجيه بدوره ، وشبك أصابع كفيه خلف ظهره ، وظهرت على وجهه دلائل التفكير العميق ، ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وقال في هدوء :

— أعتقد أن لدى وسيلة للحصول على توقيع ( ياكوف ) ، وتصريح حقيقى منه بعبورنا الحدود .

ارتسمت الدهشة على وجوه الجميع ، وهفت ( منى ) :  
— تصريح منه ؟! .. هل جمع بك الخيال يا ( أدهم ) ؟  
هز رأسه نفياً ، فيما تحيل إليهم أنه حزن عميق ، ثم أشاح عنهم بوجهه ، وقال :

— صديقنا ( ياكوف ) يؤمن بأن كل الوسائل مباحة للنصر ، في حرب المخابرات .. ولكننى أعتقد أن رأيه هذا سيغير كثيراً ، حينما يذوق طعم هذه الأساليب .

تبادل الثلاثة نظرات خيرة ، ثم سأله ( حازم ) :  
— ما الذى توى أن تفعله بالضبط يا ( أدهم ) ؟

غمغم دون أن ينظر إليهم :

— سأجبره على مخالفة ما يؤمن به ، وسأجعله يعاوننا على الحرب بنفسه .

سأله ( منى ) في خيرة :

— كيف ؟

ساد الصمت لحظة ، ثم غمغم ( أدهم ) في أسف :

— سأختطف ابنته الوحيدة .. سأختطف ( مارتينا ) .

\*\*\*





## ٩ - الجريمة ..

عاد الرفيق ( ياكوف ) إلى منزله في منتصف الليل ، وقد بلغ الإرهاق منه مبلغه ، وأغلق باب المنزل خلفه ، ثم تحسّس كيس الحلوى في جيب معطفه ، ودار بعينه بحثًا عن ابنته ، وقد أدهشه أنها لم تهرع إليه كعادتها كل مساء .. ولما طال انتظاره لها ناداها في صوت هادئ ، ولم يكذب فعل حتى برزت زوجته على باب حجرة ابنته ، شاحبة الوجه ، ذابلة العينين ، ووجهها مبلل بالدموع ، فارتجف قلب ( ياكوف ) خوفًا ، وهتف :

— ماذا حدث ؟ .. أين ( مارتينا ) ؟

لم تبس زوجته بحرف واحد ، ولكنها رفعت يدها إليه برسالة ، اختطفها من يدها ، وفضتها في لفة ، ثم شعر بساقه تعجزان عن حمله ، وهو يقرأ أول سطورها ، فأنهار فوق أقرب مقعد إليه ، وعيناه تابعان الرسالة ، التي تقول كلماتها :

« معذرة أيها العزيز ( ياكوف ) .. ابتك ( مارتينا ) ستبقى ضيفة عندي ، حتى أحصل على تصريح موقع منك ، لخروجي

وزميلتي من بلادك .. واعتقد أن هذا سينهي الصراع ، وسيضع حدًا مريحًا للجميع .. ( ١ . ص ) »

بَلَّت عينا ( ياكوف ) بالدموع ، على الرغم من ملامحه الصارمة ، وكانت هذه هي أول مرة تروى فيها زوجته دموعه ..

كان ( ياكوف ) صارمًا ، قاسيًا في كل ما يتعلق بعمله ، ولكنه كان عطفًا ، حانيًا في كل ما يتعلق بابنته الوحيدة ( مارتينا ) ..

كانت هي الشيء الوحيد ، الذي مازال يحفظ له بمشاعر آدمية ، والذي مازال قلبه ينبض من أجله ..

تصلبت عينا ( ياكوف ) ، وظل صامتًا واجمًا ، حتى هتفت به زوجته :

— امنحه ما يريد يا ( ياكوف ) ، ودعنا نستعد ( مارتينا ) .

غمغم في خشونة :

— اصمتي .

صاحت في غضب :

— كلاً يا ( ياكوف ) .. إنني ألزم الصمت دائماً في كل ما يتعلق بعملك ، ولكنني لن أصمت فيما يخص ابنتا .



رفع إليها عينين شاردتين ، مبتلتين بالدموع ، وغمغم في  
استسلام ، لأول مرة في حياته :

— إن ما يطلبه مني جريمة يا ( فولجا ) .. جريمة في حق  
الوطن .

تفجرت من عينيها الدموع ، وهي تقول :

— كل ما يعني الآن هو ابتسا يا ( ياكوف ) .

نهض ( ياكوف ) من مقعده ، وأخذ يدور في الحجرة ،  
وملامحه تشق عن خيرته ، وقلقه ، وعذابه ، ثم التفت إلى  
زوجته ، وقال في هدوء ، لا يعبر عما يعمل في نفسه :

— حسنًا يا ( فولجا ) .. سنستعيد ( مارتينا ) .

\*\*\*

اجتمع رجال المخابرات المصرية الثلاثة ، حول مائدة  
صغيرة ، تتوسط زدهة المنزل ، الذي يقيمون فيه في  
( موسكو ) ، وكان الشرود يبدو في ملامحهم ، حتى بدت  
( منى ) على عتبة إحدى الحجرات ، فالتفت إليها ( أدهم ) ،  
وسألها :

— هل نامت الصغيرة ؟

أومأت ( منى ) برأسها إيجابًا ، ثم قالت في ضيق :

— إنني أكره ما تفعل .. إنه يجعلنا أشبه بعصابات  
( المافيا ) .

غمغم ( قدرى ) :

— وأنا أيضًا .

نهض ( أدهم ) من مقعده ، وسار إلى النافذة صامتًا ،  
وظل يقف أمامها بعض الوقت ، ثم قال في هدوء :

— إنها وسيلتنا الوحيدة للفرار من هنا .

قالت ( منى ) :

— ربّما .. ولكنني لا أميل إلى ذلك .

غمغم ( أدهم ) في ضيق :

— يبدو أننا نتفق جميعًا في هذا الشعور يا أصدقائي .. فعل

الرغم من قناعتنا التامة ، أن هذه هي الفرصة الوحيدة أمامنا ،  
إلا أن بكاء الطفلة يمزق مشاعري ، ويورثني شعورًا بالندالة  
والخسّة .

ثم استدار إليهم ، وقال في حزم :

— يبدو أن طبيعتنا تخالف طبيعة رجال المخابرات في الدول

الأخرى يارفاق .. وأعتقد أننا سنضطر لإعادة الصغيرة ،  
حتى لا توصم مخابراتنا بهذه الجريمة إلى الأبد .

\*\*\*





.. إلا أن بكاء الطفلة يمزق مشاعري ، ويورثني شعورًا بالذالة والخسة ..

جلس ( ياكوف ) في حجرة مكتبه صامتًا ، معتمدًا بذقنه على قبضتيه المضمومتين ، محدقًا في كيس الحلوى ، الذي وضعه أمامه فوق المكتب ...

كان يحاول إيجاد مخرج ، من العذاب الذي يحياه ..  
كان عليه أن يختار ما بين شيئين إلى قلبه .. وطنه وابنته ..  
وكان الاختيار عميرًا ..

ولكن لا مفرّ منه ..  
وأخيرًا .. استقر رأيه على قرار خطير ، مزق جزءًا كبيرًا من نياط قلبه ، ولكنه اتخذته في حزم شديد ، وفي صرامة مطلقة ..

وفي هدوء عجيب ، التقط سماعة هاتفه ، وأدار رقم

إدارة مكافحة التجسس .. ولم يكذ يسمع صوت محدثه من الطرف الآخر ، حتى قال :

— صيلني بالرفيق ( إيفانوف ) .. أنا ( ياكوف ) .

انتظر حتى جاءه صوت ( إيفانوف ) ، فقال :

— لقد اختطف الشيطان المصري ابنتي يا ( إيفانوف ) ،  
ويطلب تصريح خروج من البلاد ، مقابل إعادتها .  
ساد الصمت لحظة ، ثم هتف ( إيفانوف ) :

— وماذا تنوي أن تفعل ؟

أغلق ( ياكوف ) عينيه ، وكأنه يحاول استجماع شجاعته ، ثم قال في انفعال :

— سأتظاهر بطاعته ، وسنعد له فخًا .

صاح ( إيفانوف ) :

— وابنتك أيها الرفيق الجنرال .

سالت دمعة حزينة من عيني ( ياكوف ) ، وهو يقول في صرامة :

— الوطن أولاً يا ( إيفانوف ) .

وفجأة . تسلل إلى أذن ( ياكوف ) صوت هادئ ،

يقول :



— إننى أحترم قرارك هذا أيها الرفيق .

أغلق ( ياكوف ) سماعة الهاتف فى حركة حادة ،  
واستدار إلى مصدر الصوت ، وهنا تفجرت فى أعماقه مشاعر  
شتى .. فهناك كان يقف ( أدهم صبرى ) ، عاقدا كفيه خلف  
ظهره ، وإلى جواره وقفت ( مارتينا ) ، التى هتفت فى  
سعادة :

— أرى !! لقد عدت !!

\*\*\*



## ١٠ — فارس من مصر ..

رائعة هى مشاعر الأبوّة ..

لقد اندفع ( ياكوف ) نحو ابنته ، واحتضنها فى حنان دافق ،  
متناسيا وجود ( أدهم ) تماما ، وحملها إلى مكتبه ، والتقط  
كيس الحلوى ، ودفعه إلى كفيها الصغيرتين ، وهو يهتف :  
— هاك كيس الحلوى يا ( مارتينا ) .. إن والدك لا ينساه  
أبدا .

التقطت ( مارتينا ) كيس الحلوى فى فرح ، وضحكت وهى  
تقول ، مشيرة إلى ( أدهم ) :  
— لقد أحضر لى صديقك هذا كمية ضخمة من الحلوى ..  
ولكننى كنت أثوق لحلواك هذه يا أبتاه .

رفع ( ياكوف ) عينيه إلى ( أدهم ) فى امتنان ، ثم أسرع إلى باب  
مكتبه ، وهو ينوى مناداة زوجته ، ولكنه فوجئ بها تندفع إلى  
الحجرة ، وتحتضن ابنتها فى قوة ، وتنهال عليها بالقبلات ، ثم ترفع  
عينها إلى ( أدهم ) ، وتقول فى سعادة ، ودموع الفرح تملأ وجهها :



— شكرًا يا سيدي .. شكرًا .

خفض ( أدهم ) عينيه في أسف ، وغمغم :

— لم أستطع أن أفعل سوى ذلك يا سيدي .

تطلع ( ياكوف ) إلى ( أدهم ) في خيرة ، وسأله :

— لماذا أعدتها ؟ .. لقد كانت فرصتك الوحيدة .

هز ( أدهم ) كتفيه ، وقال :

— سأجد فرصة أخرى ولا ريب ، ولكنها لن تكون على

حساب طفلة صغيرة .

تألفت نظرة احترام لي عيني ( ياكوف ) ، وافترب من

( أدهم ) ، حتى التقت عيناهما ، ثم قال في صوت يموج

بببرات الاحترام :

— لقد قرأت وسمعت كثيرًا عن شهامة فرسان العرب ،

ولكنها أول مرة أواجه فيها موقفًا رائعًا كهذا .

ثم مدّ يده يصافح ( أدهم ) ، قائلاً في قوة :

— أنت فارس حقيقى أيها المصري .. فارس من مصر .

ابتسم ( أدهم ) ، وقال :

— وأنت رجل مخلص لوطنك أيها الرفيق ( ياكوف ) ..

وأنا أحترم كل إنسان يخلص لوطنه .

ابتسم ( ياكوف ) ابتسامة شاحبة ، ثم عقد حاجبيه ،  
والفت إلى زوجته ، قائلاً في حزم :

— نحذى ( مارتينا ) ، واتركينا وحدنا يا ( فولجا ) .

منحت ( فولجا ) ( أدهم ) ابتسامة امتنان ، ثم غادرت

حجرة المكتب .. وهنا عاد ( ياكوف ) يلتفت إلى ( أدهم ) ،

قائلاً :

— هل تتوقع مقابلًا لإعادتك ابنتي ؟

هز ( أدهم ) رأسه نفيًا في هدوء ، وأجاب وهو يبتسم :

— مطلقًا .. بل إننى أتوقع منك أن تحاول إلقاء القبض

على الآن .

عقد ( ياكوف ) حاجبيه ، وقال في صرامة :

— هذا واجبى .

اتخذ ( أدهم ) وقفة قتالية ، وأجاب في هدوء :

— وواجبى أنا يحتم على محاولة الفرار أيها الرفيق .

ظلّ كلاهما يتطلع إلى الآخر لحظة ، ثم أشار ( ياكوف )

إلى النافذة ، وقال في هدوء :

— هيّا إذن .

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وقال :



— هل تدعوني إلى الفرار ؟  
هز ( ياكوف ) رأسه نفياً ، وأجاب :  
— بل أدعوك إلى المحاولة .

عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وهو يحاول أن يفهم ماتعنيه  
كلمات ( ياكوف ) ..

هل يحاول معاونته على الفرار ، تعبيراً عن امتنانه لاستعادته  
ابنته ؟ ..

بدا هذا لـ ( أدهم ) مستحيلاً .. فهو يخالف طبيعة  
( ياكوف ) الصارمة ، التي دفعته منذ لحظات إلى التضحية  
بأبنته الوحيدة ، من أجل وطنه ..

ولكن ( أدهم ) قرّر انتهاز الفرصة ، وتراجع بالفعل نحو  
النافذة ليحذر .. وقبل أن يصل إليها ، اندفع ( إيفانوف ) فجأة إلى  
الحجرة ، وخلفه خمسة جنود ، صوبوا مدافعهم الرشاشة إلى  
( أدهم ) ، وابتسم ( ياكوف ) في ظفر ، على حين صباح  
( إيفانوف ) :

— لا تحاول القفز من النافذة أيها الشيطان المصرى ..  
فهناك كتيبة كاملة من الجنود السوفيت تحيط بالمنزل ، ولديها  
أوامر صارمة بإطلاق النار ، على كل من يغادره دون  
صحتي .. لقد وقعت هذه المرة لا محالة .

\*\*\*

تحركت ( منى ) في عصبية ، داخل ردهة المنزل السوفيتي  
الصغير ، وأخذت تنظر من النافذة بين حين وآخر ، في انتظار  
عودة رفاقها الثلاثة .. وأحيراً وصل ( قدرى ) و ( حازم ) ،  
فسألتهما في توثر :

— أين ( أدهم ) ؟

فتح ( قدرى ) شففيه لينطق ، ولكن الانفعال تملكه ،  
فعاد يطبق شففيه . وأشاح بوجهه عنها ، على حين قال  
( حازم ) :

— لقد ألقوا القبض عليه .

انهارت فوق مقعد قريب ، وهي تهتف :

— يا إلهي !!

قال ( حازم ) ، وهو يقاوم انفعاله :

— لقد كنا نراقب منزل ( ياكوف ) ، كما طلب منا  
( أدهم ) .. وقبل أن يغادر هو المنزل ، أحاطت به كتيبة من  
الجُند .. وبعد لحظات رأينا ( إيفانوف ) و ( ياكوف )  
يغادran المنزل ، ومعهما ( أدهم ) ، تحت حراسة ثلثة من  
الجُند ، بمدافعهم الرشاشة .

جمعت ( منى ) دموعاً سالت على خديها . وهي تسأل :



— إلى أين أخذوه ؟

أجابها ( حازم ) :

— إلى إدارة مكافحة التجسس .

أحنت رأسها ، وأخذت تبكى فى صمت ، فنهض  
( قدرى ) من مقعده ، وربّت على كتفها ، وهو يقول :

— لا عليك يا ( منى ) .. هيّا أعدى حقائبك ، فلابدّ لنا  
من أن ننطلق الآن ، حتى يمكننا بلوغ الحدود السوفيتية  
الفنلندية قبل الفجر .

رفعت رأسها إليه ، وهى تقول فى ألم :

— هل نتركه هنا ؟

تهّد ، وقال فى ضيق :

— ينبغي أن نفعل يا عزيزتى ، ولا تنسى أنها أوامره ، وأن  
ما حدث حتى الآن يوافق لحظّته تمامًا .

جفّفت دموعها ، وهى تقول فى حزن :

— نعم .. مازالت الخطّة تسير على النهج الذى وضعه ..

ويا لها من لحظّة !!

\* \* \*

## ١١ — وحّدك ..

جلس ( أدهم ) هادئاً فى حجرة ( ياكوف ) ، بإدارة  
مكافحة التجسس ، على حين جلس ( إيفانوف ) يتأمّله فى  
اهتمام ، ووقف ( ياكوف ) أمامه يدخن واحدة من سجائره ،  
وكان الصمت هو المسيطر الأول على جوّ الحجرة ، حتى قال  
( ياكوف ) :

— أعتقد أنها النهاية أيها المصرى .

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول فى هدوء :

— نعم أعتقد ذلك .

ثم رفع عينيه إلى ( ياكوف ) ، وأردف فى سخرية :

— هل كنت تعلم أن هذا سيحدث ؟

أوماً ( ياكوف ) برأسه موافقاً ، وأجاب :

— ليس على هذا النحو بالضبط .. ولكننى كنت واثقاً

من أنك ستعود إلى منزلى ، مادمت لم تحدّد موعد أو مكان

حصولك على التصريح ، فى خطابك الأول .. ثم إن صوتك



كان مسموعًا ولا ريب للرفيق ( إيقانوف ) غير الهاتف ، حينما  
فاجأتني عودتك ، وأنا أتحدث إليه ، ولقد أعلقت أنا الخط  
بحركة حادة ، كفيلة بإثارة ريبته .. وكنت واثقًا أنه سيهرع إلى  
منزلي ، مع عدد كافٍ من الجنود ، وأنه لن يترك لنا فرصة  
للفرار هذه المرة .

ابتسم ( أدهم ) ، وقال متهمًا :

— أنتم عباقرة يا رجال مكتب مكافحة الجسس .

نظر إليه ( ياكوف ) في صمت ، ثم سأله في اهتمام :

— هناك أشياء عديدة ، أريد معرفتها منك

أجابه ( أدهم ) في بساطة :

— مثل ما بدالك .

جذب ( ياكوف ) مقعدًا ، وجلس في مواجهة ( أدهم )

تمامًا ، ثم سأله في اهتمام شديد :

— كيف أمكنك التسلل أكثر من مرة ، عبر حرس منزلي

الخاص ؟ .. وكيف نجحت في اختطاف ابنتي ، والعودة بها ،

دون أن يشعر بك أحد منهم ، على الرغم من تدريبهم الفائق ،

ومهارتهم الشديدة ؟ .. وكيف ..

قاطعه ( أدهم ) في هدوء ، قائلاً :

— هذه أمور نعلها بالغة السرية في دولتي أيها الرفيق ،  
وإذا كنت تؤد معرفتها حقًا ، فسأخبرك بها وخذنا .

هتف ( ياكوف ) في لهفة :

— لا بأس .

قفز ( إيقانوف ) من مقعده ، وصاح :

— مهلاً أيها الرفيق الجنرال .. إنه يحاول خداعنا مرة  
أخرى .

هتف ( ياكوف ) في عصبية :

— وماذا يمكنه أن يفعل ؟ .. لقد جرّدناه من كل ما يحمله ،

ويده مقيدتان بالأغلال ، وسأقيم حراسة مكثفة على حجرتي

و ....

قاطعه ( إيقانوف ) في توثر :

— نحن لا ندرى شيئًا من أساليب الخابرات المصرية أيها

الرفيق الجنرال ، ومن الجائز أنه يحمل بعض الأدوات السرية

في أزرار معطفه ، أو بطانته ، أو ....

قاطعه ( ياكوف ) هذه المرة ، وهو يقول :

— حسنًا .. حسنًا .. سيزع ملابسه كلها ، ويرتدي

ملابس من هنا ، ثم أجمع به وخذنا .. وعليك إحاطة الحجرة



كلها ، بما في ذلك نوافذها بالجند ، وممرهم بإطلاق النار عليه ، إذا ما حاول الفرار .

ثم استدار إلى ( أدهم ) ، وسأله في عصبية :

— هل توافق على هذا ؟

ابتسم ( أدهم ) في هدوء غامض ، وأجاب :

— بالطبع .. إنه يتوافق مع رأي تمامًا .

\*\*\*

جلس ( ياكوف ) يتأمل ( أدهم ) طويلًا ، بعد أن أصبحا وحدهما في حجرة مكتبه ، ثم قال بعد فترة طويلة من الصمت :

— والآن .. هات ما لديك .

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وقال :

— هل تظن لحطت هذه المرأة خالية من الثغرات ؟

اعتدل ( ياكوف ) ، وهو يقول في صرامة :

— لا شك لدى في هذا .

أطلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— اسمح لي إذن أن أقول إنها تحوى ثغرة كبيرة ، لم تتبه

أنت إليها .

عقد ( ياكوف ) حاجبيه ، وقال في توثر :

— أية ثغرة هذه ؟

أشار ( أدهم ) إلى وجهه ، وقال في هدوء :

— هذه ليست ملامح الأصلية .

ابتسم ( ياكوف ) في سخرية ، وقال :

— يالها من خدعة ساذجة هذه المرة أيها المصري !! هل

نسيت أنني أعرف ملامحك الأصلية جيدًا ، منذ اعتقلناك في

( سيبيريا ) .

قال ( أدهم ) في هدوء :

— كما تشاء .

ثم مذهب يده ، وانتزع فجأة قناعًا يحمل ملامحه من فوق

وجهه ، ومن أسفله ظهر قناع آخر ، جعل ( ياكوف )

يتراجع في ذهول ، فقد كانت ملامح القناع الجديد تحمل وجهه

هو .. وبدقة مذهلة ..

وفي غمرة هذه المفاجأة المذهلة ، قفز ( أدهم ) فجأة غير

المكتب ، وهوى بقبضتيه المضمومتين ، اللتين تضمهما

الأغلال الحديدية على فك ( ياكوف ) .

\*\*\*



أخذ ( إيفانوف ) يسير في قلق جينة وذهاباً ، أمام حجرة  
( ياكوف ) ، ثم بلغ النفعاله ذروته ، عندما فتح باب  
الحجرة ، وظهر ( ياكوف ) على عتبة ، فأسرع إليه  
( إيفانوف ) ، وسأله في توثر :

— هل أدلى إليك باعترافه ؟

هز ( ياكوف ) رأسه نفياً ، وأجاب :

— لقد تظاهر بذلك ، ثم هاجمني بغنة ، ولكنني أفقدته

الوعي .

هتف ( إيفانوف ) في دهشة :

— أفقدته الوعي .

أشار ( أدهم ) ، الذي ينتحل شخصية ( ياكوف ) ، إلى

داخل الحجرة ، وقال :

— لقد نجحت في ذلك هذه المرة ، وها هو ذا .

تطلع ( إيفانوف ) إلى ( ياكوف ) ، الذي وضع

( أدهم ) القناع الذي يحمل ملامحه فوق وجهه ، ورأى

الأغلال التي نقلها ( أدهم ) إلى يدي ( ياكوف ) ، وقال :

— ماذا نفعل به ؟

هز ( أدهم ) كتفيه ، وقال :



قفز ( أدهم ) فحاة عبر المكس ، وهوى بقلضتيه المضمومتين ،

اللتين تصمهما الأغلال الحديدية على فك ( ياكوف )



— ضعه في إحدى زنانات الإدارة ، حتى أعود إليه  
غدا .

سأله ( إيفانوف ) في اهتمام :

— هل ستصرف الآن ؟

أجابه وهو يتحرك مغادرا المكان :

— نعم .. إننى أشعر بإرهاق شديد .

تطلع إليه ( إيفانوف ) في خيرة وهو ينصرف ، ثم التفت  
إلى أحد الجنود ، وقال في صرامة :

— هيا .. ألقوا بهذا الشيطان في إحدى زناناتنا ، حتى  
صباح الغد .

\*\*\*



## ١٢ — الطريق إلى الحرية ..

في الطريق الموصل ما بين مدينة ( لينجراد ) السوفيتية ،  
والحدود الفنلندية .. تطلعت النقيب ( منى توفيق ) في ساعة  
يدها بقلق ، ثم هزت رأسها في توتر ، وهي تقول :

— إنها الثانية عشرة ظهرا ، وهو لم يصل بعد .. أخشى أن  
يكون قد فشل في الهروب .

ازدرد ( قدرى ) لعبابه ، وغمغم :

— ( أدهم ) قادر على الإفلات من الموت نفسه ، ثم إن كل

شيء معد ، ولا ينقصنا سوى توقيع واحد من ( ياكوف ) ،  
فنقلده ، وننتقل إلى الحرية .

غمغمت ( منى ) ، وكأنها تتحدث نفسها :

— كل شيء ؟!

أجاب ( حازم ) :

— نعم أيتها النقيب .. لقد نجحنا في الوصول إلى هنا

بجوازاتنا ، التى تحمل الجنسية اليوغوسلافية ، والتى أضاف إليها



صديقنا القدير ( قدرى ) تأشيرة دخول إلى الأراضى  
الفنلندية .. كما أننا نحمل تصريحًا خاصًا بمرورنا عبر الحدود  
السوفيتية ، ولا ينقصه — كما قال صديقنا ( قدرى ) — سوى  
التوقيع .

هتفت ( منى ) فى حنى :

— ليس هذا ما يشغلنى ، وإنما أنا قلقة على ( أدهم ) و ....  
بترت عبارتها فجأة ، حينما تساهى إلى مسامعها صوت  
هليوكوبتر تقترب ، ولم تلبث أن لاحت فوقهم ، وبدأت تدور  
حول نفسها ، وكأنها تهم بالهبوط ، فهتفت ( قدرى ) فى مرح :  
— يا إلهى !! .. هليوكوبتر عسكرية ؟ .. أراهن أنه  
( أدهم ) .. يا له من رجل !!

استقرت الهليوكوبتر فوق الأرض ، على بعد أمتار قليلة  
منهم ، ثم فتح بابها ، وظهر على عتبه ( ياكوف ) ، الذى  
تطلع إليهم مبتسمًا ، ثم هبط من الهليوكوبتر ، واقترب منهم  
بخطوات هادئة ثابتة ، فابتسم ( حازم ) ، وقال :

— ( أدهم ) يعيد تشيل دور ( ياكوف ) بإتقان مذهل ..  
ولولا معرفتى أنه ينتحل شخصيته ، لأقسمت أن القادم نحونا  
هو ( ياكوف ) نفسه .

أطلق ( قدرى ) ضحكة خافتة ، على حين عقدت ( منى )  
حاجبها ، وهى تتمعن فى وجه القادم ، ثم تراجعت فى حدة ،  
وهتفت بصوت مسموع :

— يا إلهى !! .. إنه ( ياكوف ) حقًا .

التفت ( حازم ) و ( قدرى ) إليها فى دهشة ، ثم عادا  
يحدقان فى وجه القادم ، الذى أجابهم فى هدوء :

— إنها محقة أيها السادة .. أنا ( ياكوف ) الأصلى .  
ومن داخل الطائرة ، برز فجأة عشرة من الجنود السوفيت ،  
صوبوا مدافعهم الرشاشة إلى صدور أفراد المخابرات المصرية  
الثلاثة ، على حين استطرد ( ياكوف ) فى شماته :  
— أعتقد أنها نهاية الرحلة يا سادة .

\*\*\*

كان الموقف محطًا للغاية ، حتى أن ( حازم ) و ( قدرى )  
قد شعرا بسخط شديد ، على حين هتفت ( منى ) فى دُعر :  
— أين ( أدهم ) ؟ .. ماذا أصابه ؟

ابتسم ( ياكوف ) ، وقال :

— إنه شيطان رفيقك هذا يا سيدي .. واطمئنى ، فهو  
الآن مطلق السراح ، وينتحل شخصيتى فى مهارة .. ولقد كاد



يبعدني عن الأحداث تمامًا ، لولا أن استعدت وعيي في اللحظة المناسبة ، ولم يكن من العسير إثبات شخصيتي .. ثم درست الأمر في هدوء ، فوجدت طريقًا واحدًا ، يمكنكم اجتيازه ، للخروج من البلاد .. وهنا قرّرت أن أسبق شيطانكم إلى هنا ، والهلوكوبتر كما تعلمون أسرع كثيرًا من السيارة .  
تهدت ( منى ) في إرتياح ، وهفت :

— إذن فهو مطلق السراح .. حمدًا لله .  
تطلّع إليها ( ياكوف ) في دهشة ، ثم هز رأسه في خيرة ، وقال :  
— تدهشني كثيرًا تلك الروابط العجيبة بينكم يا أفراد المخابرات المصرية ، فالواحد منكم لا يبالي بمصيره ، في سيل الآخرين .. هذا مدهش حقًا .

أسرع ( حازم ) يقول :  
— لاصلة لنا بالمخابرات المصرية أيها الرفيق .  
تطلّع إليه ( ياكوف ) لحظة ، ثم أطلق ضحكة عالية ، وقال :

— لم تعد هناك فائدة من الإنكار يا رجل .. لقد أصبحنا نلعب جميعًا بأوراق مكشوفة .  
ثم أردف في خشونة :

— والآن .. متى وعدكم هذا الشيطان المصري بالحضور ؟  
قالت ( منى ) في حق :  
— يمكنك أن تقتلنا ، ولكنك لن تحصل مثًا على كلمة واحدة .

ابتسم ( ياكوف ) في سخرية ، وقال :  
— حسنًا يا سيدي .. إنني لن أقتلكم ، ولكنني سأنتظر معكم وصول شيطانكم هذا .  
وفجأة .. انبعث من الطائرة صوت ساخر يقول في هدوء :  
— اطمئن .. إنك لن تنتظر كثيرًا أيها الرفيق .

\*\*\*

كثيرة هي المفاجآت التي تعرّض لها ( ياكوف ) في هذه العملية ..

كثيرة حتى أنه كاد ينهار ، حينما رأى أن قائد الهلوكوبتر ، التي أقلته إلى هنا ، لم يكن سوى ( أدهم صبرى ) نفسه ، الذي كان يصوّب مسدسه إلى الجنود العشرة ، وهو يتبسم في سخرية ، وهفت ( منى ) في حنارة :

— ( أدهم ) ؟ .. حمدًا لله .

غمغم ( ياكوف ) في إحباط :



أجابه ( أدهم ) في هدوء :

— لقد فهم كل منا الآخر جيدًا يا عزيزي ( ياكوف ) . حتى أنني أيضًا ، أصبحت أجيد استنتاج خطواتك .. وكنت أعلم بالطبع ، أن المسافة من ( موسكو ) إل هنا أطول من أن أقطعها بالسيارة ، قل أن تكشف أنت أمرنا ؛ لذا فقد اكتفيت بمغادرة إدارة مكافحة التجسس ، ثم أفقدت قائد الهليوكوبتر الخاصة بك وعيه ، وانتحلت شخصيته . وانتظرت ، وأنا واثق من أنك ستفضل الذهاب بالهليوكوبتر ، اختصارًا للوقت .. ولقد كان .

تغلب ( ياكوف ) على أثر المفاجأة في سرعة ، وانتصبت قائمه ، وهو يقول في صرامة :

— لن أسمح لك بالفرار الآن أيها المصري .

ثم صاح في جنوده :

— أطلقوا النار يارفاق .. سيرقى من يقتله منكم .

استدار الجنود في سرعة البرق ، وانطلقت رصاصات مدافعهم الرشاشة العشرة في آن واحد ، واختلط صوت الرصاصات بصرخة دُعر ، انطلقت من بين شفتي ( منى ) .

\*\*\*

## ١٣ — الصراع الأخير ..

انهمر سيل من الرصاص على ( أدهم صبرى ) ، وأطلق هو رصاصاته ..

كان من المستحيل حقًا أن تواجه رصاصات مسدسه الثمانية ، عشرة جنود بمدافعهم الرشاشة ؛ لذا فقد نزع ( حازم ) و ( منى ) مسدسهما ، وشاركاه في إطلاق النار ..

أطارت رصاصات ( أدهم ) المدافع الرشاشة ، لسته جنود في الثانية الأولى ، ثم شعر برصاصة تخترق صدره ، من جانبه الأيمن ، وبثانية تعبر ذراعه ، ثم رأى رصاصات ( منى ) و ( حازم ) تصيب حنديين سوفيتين ، فرفع ذراعه اليسرى ، وهو يهتف :

— كلاً يا رفاق .. لا تطلقوا الرصاص على ظهورهم .

ولجأة اخترقت رصاصة ثالثة فخذه ، فنهأوى ساقطاً على ركبتيه ، وانتهر ( ياكوف ) فرصة سقوط ( أدهم ) ، وجزع رفاقه ، فأطار مسدس ( حازم ) و ( منى ) برصاصات مسدسه ، ثم صاح في رجاله :



— سيطروا على الموقف يا رفاق .

القط الجنود مدافعهم الرشاشة ، وصوبوها إلى ( أدهم ) ، الذى أصبح عاجزاً عن القتال ، من كثرة ما ناله من رصاصاتهم ، وإلى ( حازم ) و ( منى ) ، اللذين فقدوا سلاحيهما ، وإلى ( قدرى ) ، الذى اهتز جسده البدين ، وهو يهملهم فى حق :

— يا إلهى !! إن طعم الهزيمة مرُّ حقاً .. لقد أفقد شهيتى تماماً .

وقف ( ياكوف ) يتأمل انتصاره الحقيقى لأول مرة ، وهو عاقد حاجبيه ، وكفيه خلف ظهره ، ثم توقفت نظراته عند وجه ( أدهم ) ، الذى لم تفارقه ابتسامته الساخرة ، على الرغم من إصاباته البالغة ، ثم رفع عينيه إلى ( حازم ) ، وسأله فى هدوء :

— كيف كنتم تنوون مغادرة الاتحاد السوفيتى ؟

أجابه ( حازم ) فى بساطة :

— كنا سنزور توقيعك على تصريح مرور .

أطرق ( ياكوف ) برأسه لحظة ، ثم عاد يسأل ( حازم ) :

— ومن منكم سيفعل ذلك ؟

أجابه ( قدرى ) فى تحد :

— إنه أنا .

تطلع إليه ( ياكوف ) فى هدوء ، وب نظرة تخلو من العداء تماماً ، ثم مّد يده إليه ، وقال :

— أين هذا التصريح ؟

ناولته ( قدرى ) التصريح ، فتأملته ( ياكوف ) فى اهتمام ، ثم ابتسم ، وأخرج من جيبه ورقة ، فردّها أمام وجه ( قدرى ) ، وهو يقول :

— ها هوذا توقيعى أسفل هذه الورقة .. هل يمكنك تقليده ؟

وبدلاً من أن يجيبه ( قدرى ) ، اكتفى بنظرة طويلة على التوقيع ، ثم تناول قلمه ، وذيل التصريح ، بتوقيع يصعب تمييزه عن توقيع ( ياكوف ) الأصل ، ول بساطة متاهية .. فابتسم ( ياكوف ) ، وقال :

— هذا رائع .

ثم التفت إلى جنوده ، وقال فى صرامة :

— انقلوا هذا الجريح إلى سيارة رفاقه .. سأقودهم وحدى إلى أقرب نقطة حراسة .



سأله أحد الجنود في دهشة ، وكأنه يحاول التأكد مما  
سمعه :

— وحدك يا سيدي الرفيق الجنرال ؟

عقد ( ياكوف ) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— نعم .. وحدى أيها الرفيق الجندى .

\*\*\*

جلس ( حازم ) و ( منى ) في المقعد الخلفى للسيارة ،  
منهمكين في تضييد جروح ( أدهم ) ، على حين جلس  
( قدرى ) بجسده البدين في المقعد الأمامى ، إلى جوار  
( ياكوف ) ، الذى كان يقود السيارة بنفسه ، دون أن يلتفت  
إلى راكبيها ، وكأنه يوليهم ثقته المطلقة .. فانحنت ( منى ) على  
أذن ( أدهم ) وهمت :

— إنه مفرور .. يمكننا أن نهزمه و ....

قاطعها ( أدهم ) ، وهو يقول في صوت مرتفع :

— تحذئى بصوت مسموع يا عزيزتى .. فصديقنا ( ياكوف )

لا ينوى إيداءنا بالمرّة .

نقل الجميع أبصارهم في دهشة ، بين ( أدهم )

و ( ياكوف ) ، الذى قال في هدوء :

— كيف عرفت أيها الرفيق ( أدهم ) ؟

أشار ( أدهم ) إلى الطريق ، وقال :

— إنك تقود السيارة نحو الحدود الفنلندية ، وليس

العكس .

ساد الصمت لحظة ، ثم أردف ( أدهم ) :

— دغنى أنا أسألك ، لم فعلت ذلك ؟

خيم على جو السيارة صمت ثقيل ، ثم أجاب

( ياكوف ) :

— لست أدرى أيها الرفيق ( أدهم ) .. ولكنى اتخذت

هذا القرار ، عندما سمعتك تهتف برفاقتك ، طالباً منهم عدم

إطلاق النار على الجنود في ظهورهم ، في حين أن هؤلاء الجنود

يطلقون النار عليك .

صمت مرّة ثانية ، ثم أردف :

— لقد رأيت في حياتى صوراً عديدة للشهامة

والفروسية ، ولكنها المرّة الأولى التى أرى فيها مثل هذا

الموقف ، ورجل مثلك أيها الرفيق ( أدهم ) ، لا يستحق منى

سوى الإعجاب والاحترام فقط .

ثم أوقف السيارة ، واستطرد في هدوء :



— لديكم الآن تصريح مرور يحمل توقيعًا يشبه توقيعى ،  
وسيوكد الخبراء بعد فراركم أنه مزور .. كما أن أحدًا لن يشك  
في أقوالى ، حينما أقول إنكم باعتمولى ، وأفقدتمولى الوعى ،  
وفررتم في أثناء غيوبتى .

أسرع ( حازم ) يحتل مقعد القيادة ، على حين بدا  
( ياكوف ) مهمومًا ، وهو يقول لـ ( أدهم ) :

— أنا لست خائنًا لوطنى أيها الرفيق ( أدهم ) ، ولكننى  
أجد نفسى عاجزًا عن إبدائك .

حاول أن يتسم ، ولكنه فشل وهو يستطرد :

— لست أدرى لماذا ؟ .. ربما لأنك أعدت لى انتى فى  
شهامة لم أعهد لها فى عالمنا .. أو ربما لأنك أعظم رجل مخابرات  
رأيت فى حياتى .. حقيقة لست أدرى .

ثم أشار إلى الطريق ، وقال :

— والآن انطلقوا .. قبل أن أبدل آرائى .

هبط ( أدهم ) من السيارة ومذّبه يصفح ( ياكوف )

فى حرارة ، على الرغم من جروحه الخطيرة ، وقال فى  
احترام :

— لن أنساك أبدًا أيها الرفيق ( ياكوف ) .. وأريد منك  
أن تتذكر دائمًا أنه هناك صديق لك فى مصر ، لن ينسى أبدًا  
موقفك هذا .

تبادل الرجلان نظرة عميقة ، ثم عاد ( أدهم ) إلى  
السيارة ، التى انطلقت أخيرًا نحو الحرية ، تاركةً ( ياكوف )  
خلفها ، يتابعها ببصره وهو يغمغم :

— وداعًا يا رجل المخابرات المصرى .. وداعًا يا أعظم  
رجل مخابرات فى العالم .

\*\*\*





## ١٤ — الختام ..

ازدحت حجرة ( أدهم صبرى ) ، فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، بالزائرين من رجال إدارة المخابرات العامة المصرية .. يهنئونه بسلامة العودة ، وبالشفاء من جراحه الخطيرة .. وقال مدير المخابرات ، وهو يرت على كف ( أدهم ) :

— لقد كانت عملية رائعة يا ( أدهم ) ، وإن أثارت أعصابنا لأربعة شهور كاملة .

ابتسم ( أدهم ) وهو يغمغم :

— ولكنها نجحت يا سيدى .

ضحك مدير المخابرات ، وقال :

— أنت تنجح دائماً يا ( أدهم ) .

ابتسم ( أدهم ) ، ثم عاد يسأل مدير المخابرات فى اهتمام :

— هل عرفتم ماذا أصاب ( ياكوف ) ؟

مطّ مدير المخابرات شففيه فى أسف ، وقال :

— لقد استقال من عمله ، دون أن يطالبه أحد بذلك .

ظهر الحزن على وجه ( أدهم ) ، وقال :

— كم يؤسفنى ذلك يا سيدى .. إنه رجل رائع .. مخلص

لوطنه ومبادئه ..

أوما مدير المخابرات برأسه موافقاً ، وقال :

— ربما كان إخلاصه هذا هو سبب استقالته ، فربما أن

ضميره لم يحتمل البقاء فى منصبه ، بعد أن عاونكم على الفرار .

قال ( أدهم ) :

— لقد فعل ما أملاه عليه ضميره — آنذاك —

يا سيدى .

وافقه مدير المخابرات بإيماءة من رأسه ، ثم أشار إلى

الآخرين ، قائلاً :

— آن موعد العودة إلى الإدارة يا رجال ، فنبغى أن نترك

المريض يرتاح قليلاً .

غادر الجميع حجرة ( أدهم ) ، عدا ( منى ) ، التى

ابتسمت فى خجل ، وهى تقول :

— أتمنى لك الشفاء العاجل يا ( أدهم ) .

ابتسم فى حنان ، وهو يقول :



— أنا أيضًا أتمنى الشفاء العاجل ، حتى يعم زواجنا  
يا عزيزتي .

جلدت في وجهه بدهشة ، وهفت في عجب :

— زواجنا ؟!.. من أوحى لك بهذه الفكرة ؟

عقد ( أدهم ) حاجيه ، وهو يقول :

— أنت يا عزيزتي .. لقد وافقت على الزواج مني في

السفارة المصرية عندما .....

قاطعت ( مني ) في جدة :

— لست أذكر أنني فعلت .

غمغم ( أدهم ) في خيرة :

— ولكن يا ( مني ) .

ابتسمت في خبث ، وقالت :

— لا تنس أنني لم أسمع ذاكرتي كلها بعد .

ابتسم في مكر مماثل ، وقال :

— ومتى ستستعدين لحظة أعطيني هذا الوعد ؟

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وقالت :

— لست أدري .

سأفها في حنان :

— هل تعدين بإخباري ، وقتما تستعدين كامل ذاكرتك ؟  
فهمت ما يرمى إليه ، من إعفائها من الحرج .. فقبضت  
على كفه بأصابعها الرقيقة ، وقالت في عاطفة :

— من يدري يا ( أدهم )؟.. ربما كان ذلك أقرب مما  
تصور ، ولكنني أعدك .. أعدك يا ( رجل المستحيل ) .

\*\*\*

[ تمت بحمد الله ]

باسم

www.dvd4arab.com